مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد (٢٥)١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. مجلة علمية محكمة. جامعة قطر

من جهود المرأة في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث

تأليف

د. عفاف عبدالغفور حميد

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم أصول الدين - جامعة الشارقة

ملخص البحث

توجه الخطاب الإسلامي في أصله الأول (القرآن) للرجال والنساء على حد سواء ، ومن هنا تأتي مسؤولية المرأة لتلقي الخطاب السماوي الذي يشعرها بالتكاليف الفردية كالرجل في التعلم والحفظ والمذاكرة والفهم، فكلاهما متساويان في الواجب الشرعي، وفي العمل والدعوة ومن ثم الجزاء، ولذا شاركت المرأة منذ اللحظة الأولى لبعثة النبي ﷺ في تحمل هذه الأمانة وتبليغها وفي مقدمتهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

وما عرف من جهود المرأة في الكتابة والتأليف في مجال التفسير قليل جداً، ولم يفرد القدماء كتاباً خاصاً لتلك الجهود، وسجلت ذلك روايات متناثرة في كتب التراجم وغيرها، تشير إلى قلة اشتراك النساء في التأليف لكنه لا يلغي وجوده، فجاء هذا البحث للكشف عن جهود المرأة في التفسير حديثاً بتمهيد وثلاثة مباحث بعد المقدمة كما يأتي:

التمهيد عن جهود المرأة في التفسير في العصور الأولى وخاصة عائشة ﵂. والمبحث الأول عن جهود د. عائشة عبد الرحمن، ومنهجها في التفسير البياني. والثاني عن جهود الداعية زينب الغزالي الجبيلي ونظراتها في القرآن. والثالث عن جهود الباحثة حنان لحام وما استنبطته من هدايات في التفسير، ثم تقييم تلك الجهود المقتصرة على التفسير الموضوعي والانتقائي لبعض السور القرآنية.

Quran Interpretation : Women Efforts in Contemporary era

Abstract:

The holy Quran calls unto men and women equally as women ought to carry the responsibility of conveying the message of Allah as men do. This comes through learning, memorization, studying and comprehending. Men and women are alike in religious duties, work, preaching Islam and consequently in rewards. Therefore, since the upcoming of Islam, women have contributed in carrying this responsibility or 'amana' as it was initiated by the mothers of believers 'Omahat Al-Mu'mineen'.

At present, what we have of women works such as writing and authoring at the field of Interpretation is countable. The previous scholars did not dedicate a single book about women efforts in Quran interpretation. That was recorded in various scattered narrations at the books of translations and others. This implies that women have at least little contributions but certainly not absent.

Therefore, this paper explores and identifies women efforts in interpreting Quran in Three parts subsequent to the Introduction and Preface as fellows:

Preface: Women interpretations in the early eras, particularly Aisha (RA). Part One: The efforts of Dr. Aisha Abdul Rahman and her methodology in Al-tafseer Al-Bayani. Part Two: The efforts of Zainab Al-Ghazali Al-jubeeli, as a preacher and her perspectives of the holy Quran. Part Three: The efforts of the researcher Hanan Laham and her findings from her work 'Hidayat fi altafseer'. This is in addition to an evaluation of some of the subjective and selective Surahs from the Quran.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

لم يحظ كتاب على وجه الأرض بما حظي به القرآن الكريم من عناية واهتمام، وفضلاً عن حفظه ونقله المتواتر في جميع العصور فقد نال اهتمام المسلمين تدبراً وفهماً وشرحاً مستعينين على فهمه بما توافر من روايات تفصّل مجمله وتقيّد مطلقه، وتخصّص عامه، علاوة على فهم أسباب نزوله، ومعرفة ناسخه ومنسوخه وكل ما يعين على فهمه.

وكان من مقومات حفظه أن هيّأ الله من يقوم بتلك المهمة على مر العصور، ففي كل حين يظهر لهم من إعجازه - علاوة على الإعجاز البلاغي- ما يجعلهم يتعلقون به ويزداد المؤمن به إيماناً فهو كما وصفه الرسول ﷺ "..لا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.."[١].

ولم تقتصر تلك الهمة على الرجال بل شاركت المرأة من أول لحظة بذلك، لأن القرآن خاطبها كما خاطب الرجل، وهي مكلفة بالتطبيق لأوامره وحدوده، كما أنها مكلفة بالدعوة والإصلاح مما يجعلها معنية بفهمه وتفسيره، وكانت أمهات المؤمنين قدوة في ذلك، وما اهتمام النساء المعروف في الرواية للحديث النبوي إلا جزء من ذلك وطريق لتطبيق أحكامه.

---

[١] جزء من حديث رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن ح(٢٩٠٦) ، ١٧٢/٥ والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣١٥)، ٥٣٣/٢، والحاكم في المستدرك في كتاب فضائل القرآن، باب أخبار في فضائل القرآن جملة، ح(٢٠٣٩)، ٧٤١/١، وكتاب التفسير، تفسير سورة الأنبياء، ح (٣٤٤٧)، ٤١٥/٢.

ولكن بعد العصور الأولى تراجع دور المرأة في التفسير وذلك لا يعني انقطاعه لأسباب سوف نذكرها، كما عرف تواضع دورهن في مجال التصنيف والتأليف، فلا نكاد نرى تفسيراً متكاملاً لامرأة، ولذا جاء هذا البحث لإماطة اللثام عن هذا الجهد المتواضع، وحثاً لبنات حواء أن يقتدين بمن سلكن هذا المسلك وخصوصاً ونحن اليوم أحوج ما نكون لذلك، لمواجهة التحديات التي تحيق بالأمة وإني أرى أن المرأة أكثر إدراكاً لما تعانيه المرأة وما تحتاجه، وإذا كانت بالأمس محرومة من التعليم وممارسة البحث فهي الآن قادرة على ذلك، وقد واجهتني صعوبات في إنجاز هذا البحث نظراً لقلة مصادره، وقد جاء بعد المقدمة في تمهيد ومدخل وثلاثة مباحث.

فالتمهيـــــد : عن جهود المرأة في التفسير خلال العصور الأولى موضحة لدور عائشة أم المؤمنين في ذلك.

والمدخـــــل : عن جهود المرأة في التفسير في العصر الحديث واخترت من أعلام النساء ثلاثة:

المبحث الأول : في جهود المفسرة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) في تفسيرها البياني.

والمبحث الثاني: جهود الداعية المجاهدة زينب الغزالي رحمهما الله تعالى.

والمبحث الثالث: جهود الباحثة حنان لحام حفظها الله.

أرجو أن أكون قد وضعت لبنة في هذا البناء آملة بجهود أخرى مستقبلية تكمل هذا البناء.

تمهيد
جهود المرأة في التفسير في العصور الأولى

تأتي مسؤولية المرأة في تلقي الخطاب السماوي والعمل بالتكاليف الفردية كالرجل، فكلاهما متساويان في الواجب الشرعي، والحقوق الإنسانية، وممارسة الإصلاح والإرشاد كما قال تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" النحل: ٩٧

ولذا شاركت المرأة منذ اللحظة الأولى لبعثة النبي ﷺ في تحمل هذه الأمانة وتبليغها وفي مقدمتهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن كقدوة لمن بعدهن.

وما عرف من جهود المرأة في الكتابة والتأليف والتصنيف في مجال التفسير قليل جداً، ولم يفرد القدماء كتاباً خاصاً لتلك الجهود، وسجلت ذلك روايات متناثرة في كتب الحديث والأدب والتاريخ وكتب التراجم، فإن كان ذلك يشير إلى قلة اشتراك النساء في التأليف لكنه لا يلغي وجوده.

لقد تركت المرأة المسلمة عبر مراحل التاريخ صفحات مشرقة مليئة بالعطاء، والمواقف الرائعة، تحتاج المسلمة المعاصرة لإظهارها، للتعرف على النساء اللاتي دخلن التاريخ على أساس القرآن الكريم وهديه.

والمكتبة الإسلامية حافلة بكتب كثيرة في فنون العلم المختلفة تحكي قصة العلماء وتنقل أخبارهم وجهودهم العظيمة بتخصصاتهم المختلفة، وقد شاركتهم المرأة المسلمة في الحياة العلمية فعرف التاريخ منهن أديبات وشاعرات، وقارئات ومحدثات ، وعالمات وفقيهات، وناسخات وخطاطات، ومن بينهن مصنفات ومؤلفات.

ومن متابعتي لجهود النساء رأيت أن اهتمامهن بحفظ الحديث وروايته كان له المقام الأول، ولكن لم تصل إلينا مصنفات خاصة تجمع جهود المرأة إلا القليل[1] رغم مشاركتها في التعلم والتعليم.

فمن الكتب التي ترجمت لهن: كتب الأعلام والطبقات والتراجم في الحديث كطبقات ابن سعد والاستيعاب لابن عبدالبر، وأسد الغابة والتهذيب والتقريب والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر، ومن كتب التراجم المتأخرة للمصنفين والمصنفات: كتاب "هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين " لإسماعيل البغدادي وفيه ذكر اسمي مؤلفتين فقط، هما زيب النساء وعائشة الباعونية، والأعلام للزركلي، ذكر ثلاث عشرة امرأة من المؤلفات، وأعلام النساء لعمر رضا كحالة ذكر عشر مؤلفات..

ومن الكتب الحديثة في هذا المجال: "معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر" لعادل نويهض في مجلدين لكنه لم يذكر إلا امرأة واحدة فسرت القرآن الكريم وهي التي ذكرها إسماعيل البغدادي في هدية العارفين[2] والظاهر أن موضوعات مؤلفات النساء تكاد تنحصر في الحديث الشريف -وهو الأكثر- والتاريخ والفقه والتصوف والأذكار[3].

أما أسباب قلة التأليف والتصنيف عند المرأة - على الرغم من توافر فرص التعليم لها- فأهمها:

---

[1] من ذلك للأصفهاني: الإماء الجواري الشاعرات، وللسيوطي: "نزهة الجلساء في أشعار النساء"، ولسليم التنير: "الشاعرات من النساء" ولعبده مهنا: "معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام".

[2] انظر: محمد خير رمضان يوسف ٢٠٠٠م. المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي، بيروت: دارابن حزم، ص ١٠-١٣.

[3] لمصدر السابق ص ٢١.

١- عدم تفرغ المرأة للتأليف لطبيعة حياتها أماً وزوجة، مما صرف عنها فرصة التفرغ للتأليف.

٢- رغبة المرأة في السماع والكلام أكثر من التأليف لذلك برزت مواهب المرأة في الأدب والشعر واللغة أكثر من التخصصات الأخرى، ولهذا وجدنا عدداً كبيراً من النساء في تراجم الرواة والمحدثين.

٣- إهمال كثير من الكتاب والمؤرخين تراجم النساء لعدم إلمامهم بالجوانب الكافية بالترجمة للمرأة التي يكون مبناها على الستر والتعفف ولصعوبة الاستفسار عن أحوالها سواء كانت بنتاً أو زوجة[١].

وإذا أردنا أن نستجلي[٢] جهود النساء في التفسير خلال القرون الأولى فلابد من أن نبدأ بأم المؤمنين عائشة (رض الله عنها).

جهود أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: السيدة عائشة لا تحتاج منا إلى تعريف ومن المعروف عنها أن الله تعالى وهبها ذكاءً وذاكرة قوية، وحفظا سريعاً، فقد نشأت في بيت أبيها أبي بكر، وعاشت في بيت النبوة ونهلت من المعين النبوي الصافي، وعرفت بتطلعها الواسع ورغبتها الكبيرة في العلم فكانت كثيرة السؤال والاستفسار، شديدة التمحيص والتنقيب، وقد شهد لها بذلك الأكابر، فعن أبي مليكة: " أن عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه"[٣].

لقد كانت رضي الله عنها -وهي صغيرة تلعب- تسمع الآية من القرآن فتحفظها وتضبط مكان نزولها ، ووقت نزولها حيث تقول : " لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب "بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ " القمر: ٤٦، وما

---

[١] راجع: محمد خير رمضان يوسف، المؤلفات من النساء، ص ١٣-١٥.
[٢] سعيد فايز الدخيل ، موسوعة عائشة أم المؤمنين حياتها وفقهها، ص ٨٣.
[٣] البخاري كتاب العلم باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه، ٢/ ٥٤.

نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده"[1]، وكانت تسأل الرسول ﷺ عن تفسير بعض الآيات.

وبعد انتقالها إلى البيت النبوي حضرت الكثير من نزول القرآن، وإن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ في لحافها، لذلك وصفت أحواله عليه الصلاة والسلام حين نزول الوحي عليه، الأمر الذي جعلها تلتقط الآية من فم النبي ﷺ فتحفظها وتعي الأحكام والمقاصد، فجمعت إلى حفظ القرآن معرفة معانيه وتفسيره، فأصبحت من كبار المفسرين للقرآن الكريم، وساعدها على ذلك معرفتها باللغة العربية وأشعارها وآدابها"[2]، وكان لها مصحف خاص بها جمعت القرآن إلى تفسيره، ولذا كان بحجم المصحف ثلاث مرات"[3].

ولقد كان الطابع الفقهي هو الطابع العام والأساس لتفسير السيدة عائشة، ولقد كانت عالمة بالفقه مبرزة فيه، قال عروة بن الزبير: "ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفرائضه ولا بحلال ولا بحرام من عائشة"، وقال عطاء: "كانت عائشة أفقه الناس"، وقدّمها ابن حزم على سائر الصحابة الذين رويت عنهم الفتاوى"[4]، ويتمثل هذا الطابع الفقهي في تلك المسائل الفقهية الوفيرة والمتنوعة التي تناولتها، وأجوبتها السديدة عن تلك المسائل بما يكشف عن رسوخ علمها.. وأغلبية المسائل الفقهية التي عالجتها تختص بالمرأة والقضايا المتصلة بها..[5]، وكانت أجوبتها بارعة وتتميز بإحاطتها بالموضوع من جميع جوانبه حتى الدقيقة منها والحساسة، ويلحظ فيها الصراحة والقطع.

---

[1] البخاري، كتاب التفسير، تفسير" بل الساعة موعدهم" ح(٤٨٧٦) ٣٠١/٣.
[2] راجع: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤٠/٢.
[3] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ٩٦/١.
[4] انظر هذه الأقوال على التوالي في: السمط الثمين ٨٦، وسير أعلام النبلاء ٦٩، والإجابة ٥٩.
[5] راجع ذكر بعض هذه المسائل في: عبد الله أبو السعود بدر، تفسير أم المؤمنين عائشة، ص٧٩-٨٠.

وأصول التفسير عندها: القرآن بالقرآن، والسنة النبوية، وأسباب النزول، والحس اللغوي والأدبي، والاجتهاد الشخصي.

وقد ساعدها حفظها للحديث على دقة التفسير، فقد كانت من كبار المحدثين ويعود تميزها إلى أنها سمعت تلك الأحاديث مشافهة من النبي ﷺ كما أنها انفردت برواية أحاديث لم يروها غيرها، فكانت مرجعاً للصحابة فيما اختلفوا فيه.. فيجدون عندها الجواب الشافي الذي يحسم الخلاف.[١]

وكان لها منهج خاص في تفسير القرآن الكريم يعتمد على الجمع بين الآيات في الموضوع الواحد وإظهار اتفاقها وانسجامها في تفسير القرآن بالقرآن فقد سألها عروة عن قوله تعالى: " وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ " النساء:٣، فقالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجري وليها تشركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها". قال عروة: قالت عائشة: "حدثت أن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله: "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ " النساء: ١٢٧، والذي ذكر الله أنه يتلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ.." الآية قالت عائشة: "وقول الله في الآية الأخرى "وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ" يعني هي رغبة أحدكم ليتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها من يتامى

[١] راجع الزركشي بدر الدين، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ص٢٣، وآمال قرداش، دور المرأة في خدمة الحديث ص ٥١.

النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن"[1]، ويتضح في هذا المثال حسن توجيهها للآيات وتفسيرها للقرآن بالقرآن بما يزيل اللبس والغموض، ومثل ذلك في نفيها القاطع لرؤية الرسول ﷺ الله في سؤال وجه إليها[2] مستدلة بقوله تعالى: "لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الأنعام: ١٠٣، ثم وضحتها بآية أخرى في قوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ" الشورى" ٥١

وقد أعانها على التفسير معرفتها بأسباب النزول ومن ذلك: عن عائشة أن عروة قال لها أرأيت قول الله: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا "؟ البقرة: ١٥٨ فما أرى على أحد جناح ألا يطوف بهما؟ فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أولتها كانت: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت، أن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله: إن الصفا والمروة من شعائر الله..الآية. قالت عائشة: ثم قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما[3].

وتنبه السيدة عائشة على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ففي قوله تعالى:" وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الشركة باب شركة اليتيم وأهل الميراث ١٣٣/٥، حديث ٢٤٩٤ مع فتح الباري.

[2] الحديث في البخاري ٢٨٢/٥ (٢٨٨٩) ، ومسلم ٨٨/١٥، وأحمد ١١٨/٦.

[3] أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله ح(١٥٦١) ٥٩٢/٢، ومسلم في الحج باب أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، ح(١٢٧٧)، ٩٣٩/٢، والإمام أحمد في مسنده ح(٢٥١٥٥، ٢٥٩٤٧) ١٤٤/٦، ٢٧٧، ومالك في الموطأ كتاب الحج باب جامع السعي، ح(٨٣٢)، ٣٧٣/١.

يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ" النساء:١٢٨، تقول: إن هذه الآية نزلت في سودة وفي أشباهها[١].

ومن اعتمادها على الحس اللغوي في التفسير وهي المعروفة بذلك تفسيرها لقوله تعالى:" لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" البقرة:٢٢٦-٢٢٧، تخالف السيدة عائشة المفسرين في اعتبار ذلك طلاقاً رجعياً أو بائناً، وجاءت بما يدل على حس بلاغي وفهم عميق للأسلوب القرآني، فلا تعد ذلك طلاقاً رجعياً ولا بائناً، بل يوقف المؤلي بعد انقضاء الأشهر الأربعة إما أن يبقي وإما أن يطلق[٢].

أما تفسيرها بالاجتهاد الشخصي، فقد كانت تجتهد في تفسيرها وفي فتياها ولها في ذلك مواقف من النص: موقف عقلي من النص ويتجلى في المثال الذي ذكرناه عن زواج الولي من اليتيمة، وموقفها من القراءات، ومن الناسخ والمنسوخ، ومن المحكم والمتشابه، ومن الإسرائيليات، ومن علماء عصرها حيث عرفت بالاستدراك عليهم، وأخيراً موقفها التربوي في التعليم[٣].

صحابيات أخريات وتابعيات ممن ورد عنهن تفسير :

وقد ورد عن بعض الصحابيات-غير عائشة- فهماً وتفسيراً للآيات القرآنية يدل على استحضارها معاني القرآن الكريم، فقد ورد عن عبيد الله بن زياد عن ابني بسر السلميين قال: دخلت عليهما فقلت: يرحمكما الله الرجل منا يركب دابته فيضربها بالسوط ويكفحها باللجام هل سمعتما من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً، قالا: لا ما سمعنا منه شيئاً، فإذا امرأة قد نادت من جوف البيت، أيها السائل إن الله عز

[١] الحاكم في المستدرك ١٨٦/٢.
[٢] راجع التفصيل في تفسير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ص ١١١-١١٢.
[٣] راجع تفاصيل ذلك وأمثلته في المصدر السابق ص ١١٣-١٣٥.

وجل يقول: "وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ " الأنعام:٣٨، فقالا: هذه أختنا وهي أكبر منا وقد أدركت رسول الله ﷺ"[1]. وتظهر الرواية اهتمام المرأة وتدبرها لما تقرأ من القرآن، وتفوقها أحيانا في الاستدلال والاستنباط منه.

ومن التابعيات حفصة بنت سيرين التي اشتهرت بالعبادة وقراءة القرآن والحديث وهي من سيدات التابعيات عن هشام بن حسان قال: "قرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة وماتت وهي ابنة تسعين "[2]، وقد عاشت في رحاب الله أكثر من خمس وسبعين سنة، وأدركت عبد الله بن ميمون قال: "مكثت حفصة في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو لقائلة"، وعن هشام بن حسان: أن ابن سيرين كان إذا أشكل عليه شيء من القراءة قال: "اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ"، وكانوا يدخلون على حفصة وقد تنقبت فيقولون لها: قال الله: "وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ" النور:٦٠ وهو الجلباب قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ "وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ" فنقول: هو إثبات الجلباب[3].

وقد ورد عن السيدة زبيدة زوج الرشيد ووالدة الخليفة الأمين أنها كانت عالمة فقيهة وذكر ابن خلكان: أنه كان لها مائة جارية كلهن يحفظن القرآن العظيم غير

---

[1] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حديث (١٧٢٣٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٠٧ : رجاله ثقات، وقد ذكر السيوطي القصة في الدر المنثور تفسير آية (٣٨) من سورة الأنعام، ٣٦٦/٣، وابنا بسر السلميين هما الصحابيان عبد الله وعطية، وهذه المرأة هي أختهما "الصَّماء بنت بسر" التي اشتهرت برواية حديث النهي عن صوم يوم السبت، انظر: المستدرك للحاكم ٦٠١/١، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ترجمة الصماء بنت بسر المازنية: ".. أهل بيت أربعة صحبوا النبي ﷺ بسر وابناه عبد الله وعطية وأختهما الصماء" ٤٨٠/١٢، وفي تقريب التهذيب ٧٤٩/١، والمزني في تهذيب الكمال ٢١٨/٣٥، وفي الإصابة ٥٣٩/٧، ٧٤٨.

[2] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤/ ٢١.

[3] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤/ ٢١. وراجع: أم إسراء بنت عرفة، نساء لها تاريخ ص١٧٢.

من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ، وكان يسمع لهن دوي كدوي النحل، وكان ورد كل واحدة عشر القرآن[١].

ومن النساء الأندلسيات ابنة فايز القرطبي كانت ممن اشتهر بحفظ العلم والأدب، أخذت عن أبيها فائز علم التفسير واللغة العربية والشعر وعن زوجها الفقه والرقائق، وخرجت من قرطبة للقاء أبي عمرو الداني ت٤٤٤هـ/١٠٥٢م وأخذ القراءات عليه ولكن عاجلته منيته فحضرت جنازته، وسألت عن أصحابه فذكر لها أبو داود فلحقت به بعد وصوله إلى بلنسية، وقرأت عليه القرآن بالقراءات السبع وجودتها، ثم رحلت حاجة إلى المشرق وتوفيت بمصر بعد انصرافها من الحج سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م[٢].

والأمثلة على ذلك كثيرة في القارئات والمتدبرات والمفسرات لبعض الآيات القرآنية خلال الحقب التاريخية، ولكن لم يحدثنا التاريخ عن وجود مفسرة فسرت كتاب الله كاملاً، بل أشارت بعض المصادر-كما ذكرنا- إلى أن هناك امرأة واحدة كان لها تفسير للقرآن وهي زيب النساء بنت عالمكير الهندية ابنة الشاه محي الدين أورانك، والدها من الملوك والسلالة التيمورية وهو سادس أباطرة المغول في الهند (١٦٥٨-١٧٠٧م)/(١٠٨٧-١١٣٧هـ) وهي أديبة شاعرة ولدت سنة١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م وتوفيت سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م، وقد يعود سبب إقبالها على العلم حب والدها للعلم والعلماء. وقد ذكر البغدادي في هدية العارفين تفسيرها الذي سمته "زيب التفاسير" وزيب كلمة فارسية معناها "زينة"، فيكون معنى اسمه زينة النساء

[١] أم إسراء بنت عرفة، نساء لها تاريخ. ص ١٩٨.
[٢] راجع ابن الأبار، التكملة لكتاب السلف "أعلام نساء الأندلس"، ص٣١.

ومعنى تفسيرها "زين التفاسير"، ولا يبدو أن تفسيرها هذا بالفارسية مثل ديوان شعرها[1]، وفي هذا المجال لم أجد في الدراسات القديمة إلا من مثل هذه الإشارات.

❁❁❁

[1] راجع هدية العارفين ١/ ٣٧٥ ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ١٩٧/١ وانظر: محمد خير رمضان، المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن ص٤٣-٤٥.

مدخل إلى جهود النساء في التفسير في العصر الحديث

ساعدت ظروف العصر الحديثة على إتاحة الفرصة للمرأة للمشاركة في تعلم القرآن الكريم وتلاوته وحفظه ومدارسته.. وقد ظهرت العناية بتعليم القرآن الكريم ضمن مؤسسات رسمية وغير رسمية في الدول العربية والإسلامية فضلا عن المدارس التقليدية القديمة (الكتاتيب والزوايا)، أو نشاطات المساجد في تعليم القرآن ومدارسته، ومن أبرز هذه الدول أرض الحرمين (المملكة السعودية)، وقد صدرت مؤلفات وبحوث تسجل هذه الجهود وتصنفها، وتبرز مدى العناية بحفظ القرآن الكريم بجميع المستويات والفئات، ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، حتى كثر الحفاظ والحافظات.

وتتولى المرأة الضابطة لأصول التجويد تعليم ذلك لغيرها من النساء والفتيات والصغار من الأولاد في أغلب البلاد الإسلامية، وإذا كانت البداية في المدارس محدودة فقد تجاوز أعدادهن اليوم أرقاماً كبيرة حتى وصل عدد الدارسات عشرات الآلاف والمدرسات بالآلاف[١].

وتجاوزت العناية بتحفيظ القرآن إلى إعداد كليات متخصصة لإعداد مدرس القرآن الكريم، مثل الكلية العليا لتحفيظ القرآن الكريم في اليمن.[٢]

---

[١] راجع الكتاب الوثائقي "جهود المملكة العربية السعودية في الاعتناء بالقرآن الكريم" إعداد: لجنة برنامج تحفيظ القرآن بهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية" إشراف: الدكتور عبد الله بن علي بصفر، ط السعودية سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، وراجع بحث " المدارس النسائية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية" د. بدر ناصر البدر، نشر في كتاب الوقائع لمؤتمر القرآن الكريم والجهود المبذولة في خدمته، النشر العلمي لجامعة الشارقة سلسلة رقم ١٩. ص ١٦٥.

[٢] راجع بحث الدكتور عبد المجيد السوسوة "الكلية العليا للقرآن الكريم في اليمن" ، في كتاب الوقائع ٥٢/١.

وامتدت العناية بكتاب الله من قراءته وتحفيظه إلى تفسيره وتوضيحه، فبرزت جهود العلماء والمتخصصين في هذا الميدان بشكل فردي، أو عن طريق الجامعات، فوجدنا مؤلفات كثيرة تتصل بعلوم القرآن وتفسيره كلاً أو أجزاءً ولكن جهود المرأة في هذا المجال بقيت محدودة وضيقة، ولعلها أفضل في العصر الحاضر مما كانت عليه في العصور السابقة، وذلك لوجود عدد كبير من المتخصصات في الدراسات الإسلامية ومنها التفسير، ولاسيما في الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه، فقد وجدت باحثات ممن كتبن في تخصص علوم القرآن وتفسير بعض السور أو اختيار موضوع في ضوء القرآن (التفسير الموضوعي)، ويصعب الإحاطة بجميع تلك الجهود نظراً لسعتها وكثرتها،[1] ومع ذلك يبقى الانطباع بأن تلك الجهود متواضعة في مجال التفسير إذا ما قورنت بالمؤلفين من الرجال، وعلى الرغم من عدم وجود تفسير متكامل لامرأة، فهناك نماذج رائدة لنساء فسّرن أجزاءً، ولهن منهج واضح في ذلك، ومن أبرز تلك الجهود ثلاثة نماذج[2]، وسأعرض نبذة لكل منهن ومنهجها في التفسير.

---

[1] يمكن الاطلاع على فهارس الرسائل الجامعية للدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) في جامعات كثيرة في الدول العربية والإسلامية وخصوصا جامعات المملكة العربية السعودية وجامعة الأزهر حيث تضم جهودا متميزة للنساء في مجال الدراسات القرآنية.

[2] ذكرت هذه النماذج الثلاثة لتوافر السيرة العلمية لهن وإن كانت غير كافية، مع توافر مؤلفاتهن حول التفسير، وهذا لا يعني عدم وجود أخريات، ولكن لم يتيسر لي الاطلاع على ما كتبن ومن ذلك الدكتورة هند شلبي من تونس فقد علمت أن لها مؤلفات في التفسير وعلوم القرآن، غير أني لم أتمكن من الحصول عليها.

المبحث الأول

جهود الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)

هي عائشة بنت الشيخ عبد الرحمن ، ولدت في مدينة دمياط بمصر ، في ١٦/١١/ ١٩١٣م، أبوها أحد شيوخ المعهد الديني والمدافعين عن نظامه التعليمي، وقد نشأت عائشة في بيئة لها فكرها وتقاليدها، وعاشت في بيت مثلت فيهم الجيل الرابع بين جدها لأمها "الشيخ ابراهيم الدمهوجي".

تقول عائشة حين دخلت الجامعة: "لم يحدث قط أن فتنت عن قديمي بالجديد الذي تعلمته في كتب العلوم العصرية لمراحل الطريق إلى الجامعة، بل كنت كلما تقدمت خطوة على الطريق ازددت إدراكاً لقيمة الرصيد الثمين الذي يمنحني سمة أصالة وتفرد في بنات الجيل[١].

سيرتها العلمية :

نشأت عائشة في بيت علم، حرص والدها على تعليمها، وبدأت الدراسة ١٩١٨م في سن الخامسة، كما حفظت القرآن الكريم خلال الإجازات الصيفية في شبرا بخوم، وكان والدها رافضاً أن تتلقى ابنته أي تعليم غير ديني وقال لها:" ليس لبنات المشايخ أن يخرجن للمدارس، وإنما يتعلمن في بيوتهن" ولكن جدها توسط لها عند والدها وانتزع موافقته لخروجها للمدرسة على أن تواصل دراستها في البيت إذا قاربت البلوغ، فاستطاعت أن تتفوق فبي دراستها، وحين أكملت دراستها الابتدائية استعانت بجدها كذلك لمواصلة دراستها فأتمت دراستها الراقية بدمياط، ونظراً لوفاة جدها فقد التحقت بدار المعلمات ولكنها أكملت دراستها في المنزل

[١] انظر كتاب حسن جبر المالكي ، بنت الشاطيء من قريب ، ص ١٥، ٤٤.

فحصلت على الكفاءة للمعلمات١٩٢٩م بترتيب الأولى على القطر المصري كله، ثم الشهادة الثانوية ١٩٣١م.

وقد التحقت بقسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة القاهرة ١٩٣٥م، وقد وصفت عائشة الجامعة "بأنه الباب الموصد الذي وقفت أمامه طويلا لكي يفتح.." وتخرجت منها عام ١٩٣٩م.

وقد التقت في الجامعة بقمم مصر الفكرية والأدبية وعلى رأسهم الأستاذ "أمين الخولي" صاحب الصالون الفكري والأدبي الشهير "مدرسة الأمناء" وصاحب المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، والذي تزوجته فيما بعد فكان أستاذها وزوجها، وانجبت منه ثلاثة أبناء.

وقد واصلت دراستها للماجستير عن"الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري" ونالت بها درجة الشرف الأولى عام١٩٤١م، وبعدها الدكتوراه في تحقيق "رسالة الغفران لأبي العلاء المعري" عام١٩٥٠م، وكان يوم مناقشتها مشهوداً في حياة القاهرة الأدبية.[١] ويدل اشتغالها بالتحقيق في نص بالغ الصعوبة عن اختيار طريق صعب -كان إلى ذلك الحين- مقصوراً على نوعية معينة من الرجال، وهو طريق تحقيق التراث، وبذلك تكون رائدة نسائية في هذا الميدان.

وقد كان اهتمامها الأول مجال الدراسات الإسلامية، وقد أشار عليها أستاذها الخولي أن تبدأ بدراسة الأدب وتهضم اللغة التي نزل بها القرآن الكريم إذا أرادت أن تشتغل بتفسيره. واستجابت للنصيحة وبدأت بالدراسة الأدبية وقضت فيها نحو عشرين عاماً ثم عادت إلى الدراسات القرآنية والإسلامية.

---

[١] راجع مقال " بنت الشاطيء" http://ikhwanonline.com/Article.asp? ومقال " عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء" على شبكة: www.azaheer.org/vb/shoethred.php?

عملها ومناصبها

قبل دخول عائشة الجامعة اشتغلت بوظيفة كاتبة بكلية البنات بالجيزة، وبدأت حياتها الأدبية وهي ابنة الثمانية عشر ربيعاً تكتب في الصحف وأرسلت إحدى قصائدها "الحنين إلى دمياط" إلى مجلة النهضة النسائية، فألحقتها صاحبة المجلة بالعمل معها، وكانت تراسل الصحف باسم مستعار هو (بنت الشاطيء) نظرا لشدة محافظة أسرتها كما كانت تكتب في صحيفة الأهرام.

وبعد أن نالت شهاداتها العليا مارست التدريس في جامعات عربية كثيرة، وقد تدرجت من معيدة في قسم اللغة في آداب القاهرة، حتى أصبحت أستاذة كرسي اللغة العربية وآدابها ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٢-١٩٧٢م، وأستاذاً زائراً لجامعات أم درمان ١٩٦٧، والخرطوم والجزائر ١٩٦٨، وبيروت١٩٧٢م، وجامعة الإمارات١٩٨١م، وكلية تربية البنات في الرياض١٩٧٥-١٩٨٣م، إلى أن أصبحت أستاذاً للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب حيث قامت بالتدريس هناك ما يقارب العشرين عاماً.

مؤلفاتها ونشاطاتها

لقد كتبت بنت الشاطيء في الأدب والنقد والتراجم والتحقيق في كتب التراث والتفسير والحديث فتركت وراءها ما يربو على الأربعين كتاباً.

فمن أبرز مؤلفاتها في الدراسات الإسلامية: التفسير البياني للقرآن الكريم، والقرآن وقضايا الإنسان، وتراجم سيدات بيت النبوة، وحققت الكثير من النصوص والوثائق والمخطوطات، ولها دراسات لغوية وأدبية وتاريخية أبرزها نص رسالة

الغفران للمعري، والخنساء الشاعرة العربية الأولى.. ولها أعمال أدبية وروائية أشهرها "على الجسر..سيرة ذاتية".

كما شاركت في العديد من المؤتمرات الدولية[1]، وجاوزت شهرتها أقطار الوطن العربي والإسلامي.

وقد خاضت بنت الشاطيء معارك فكرية شهيرة واتخذت مواقف حاسمة دفاعاً عن الإسلام، وكان أبرزها موقفها ضد التفسير العصري للقرآن الكريم ودعمها لقضية المرأة وتعليمها، وردودها على العقاد في هذا المجال، وكذلك كشفها للبهائية وعلاقتها بالصهيونية العالمية وغير ذلك.[2]

الجوائز والتكريم

لقد حظيت بنت الشاطيء بمكانة رفيعة في أنحاء الوطن العربي والإسلامي، فكرّمتها مصر في عهد السادات ومبارك، ونالت جائزة الملك فيصل، كما كرّمتها المؤسسات الإسلامية المختلفة بعضوية ضنت بها على غيرها من النساء مثل: مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، والمجالس القومية المتخصصة، وكرّمها ملك المغرب، وكانت آخر زيارة لها لحضور فعاليات جامعة الصحوة الإسلامية بالرباط نهاية أكتوبر ١٩٩٨م واحتفى بها طلابها الذين أصبحوا رواداً، وتوفيت في مطلع ديسمبر ١٩٩٨م، فأعلنت وزارة الأوقاف المغربية إقامة سرادق لتقبل العزاء فيها، وودعتها مصر في جنازة مهيبة حضرها العلماء والأدباء والمثقفون من شتى

[1] انظر مقدمة الطبعة الخامسة لتفسيرها حيث ذكرت أهم المؤتمرات والندوات التي دعيت إليها.

[2] انظر كتاب المالكي: بنت الشاطئ من قريب، تناول فيه عدة محاور: علاقتها بالعقاد، وبالأزهر، وقضية المرأة، قضية الفلاح، علاقتها بالثورة، المنهج التاريخي مقدمة في المنهج، وعلاقتها بالأهرام.

الدول، ونعاها شيخ الأزهر وأمّ صلاة الجنازة بنفسه، وكانت قد أوصت بتسليم مكتبتها إلى دار الكتب المصرية، وقد هيأت الدار لها مكاناً خاصاً وهي الآن في متناول الدارسين[١].

تفسيرها : التفسير البياني للقرآن الكريم ومنهجه

بعد عودة بنت الشاطيء للدراسات القرآنية كان كتابها عن التفسير البياني للقرآن الكريم بمثابة حلقة وصل بين الدراسات العربية والدراسات القرآنية، ولم يكن تفسيراً شاملاً للقرآن بل اقتصر على بعض السور من القصار والمتوسطة في جزئين ، وقد اعتمدت بنت الشاطيء (المنهج الإشراقي)[٢] الذي يعتمد على القلب وتأثرت فيه بوالدها، واعتمدت (المنهج العقلي)[٣] الذي يعتمد على العقل وتأثرت فيه بأستاذها وهو زوجها الشيخ أمين الخولي ، واستطاعت أن تستفيد منهما معاً.

والمنهج الذي بنت عليه تفسيرها وأخذته عن أستاذها الشيخ أمين الخولي وضع له ضوابط في كتابه: "مناهج تجديد" وشرحها عدد من طلابه، وقد ذكرت بنت الشاطيء هذا المنهج ولخصته في مقدمة الطبعة الخامسة لتفسيرها وهو:

---

١ انظر تفاصيل ذلك في كتاب المالكي، وانظر: هبة رؤوف عزت ، في مقال " عائشة عبد الرحمن ، على شبكة الأنترنيت: إسلام أون لاين.

٢ الأصل في الإشراق لغة: الدخول في شروق الشمس، وأما في المصطلح الفلسفي فالإشراق: حدوث الإلهامات من الله للصوفي بطريق مباشر، وعلى باطنه أو قلبه. انظر: الموسوعة الفلسفية العربية عن: أبو الوفا التفتازي ص ٧٢.

٣ المنهج العقلي: هو المنهج الذي آمن بدور العقل في فهم النص واستكشافه ضمن ضوابط محددة ومنهج عليم يعتمد على دلالات القرآن نفسه، وتعود أصول المنهج العقلي إلى المعتزلة، أما المنهج العقلي في العصر الحديث فيعود إلى الدعوة للتجديد ومنح العقل مساحة في تفسير النصوص تختلف درجتها بين أصحابها، ويعد الشيخ محمد عبده رائد هذه المنهج الذي أثمر في اتجاهات مختلفة، راجع كتاب: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد عبد الرحمن الرومي، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر للدكتور محمد إبراهيم شريف.

١- الأصل في المنهج التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام، ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

٢- في فهم ما حول النص: ترتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان، كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية، دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية. وأن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التي لولاها ما نزلت الآية، والخلاف في أسباب النزول يرجع غالباً إلى أن الذين عاصروا نزول الآية أو السورة، ربطها كل منهم بما فهم أو بما توهم أنه السبب في نزولها.

وترتيب السور والآيات كما جاءت في المصحف توقيفي بأمر الله، كما قررت ذلك المفسرة، ودرجة ثبوت هذا الترتيب أقوى من درجة ثبوت ما صح من روايات ترتيب النزول، وقد أخذت به فيما لا يعارض دلالة ترتيب المصحف، كما التزمت به المفسرة في عدة مواضع[١]، وخالفته في مواضع أخرى[٢].

٣- في فهم دلالات الألفاظ: نقدر أن العربية هي لغة القرآن، فنلتمس الدلالة اللغوية التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية. ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من

---

١ انظر تفسيرها البياني، ١٤/٢، ١/ ١٨٩، ٢/ ١٥-١٦، ٩٧. ويرى الشيخ ابن عقيلة المكي أن المناسبة بين آيات المصحف من أوله إلى آخره حاصلة على أحسن وجه، ولكن الناس تختلف أفهامهم في وجه المناسبة، وحُسن ذلك وضَعفُه راجع إلى حسن الأفهام. انظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ٢٩٩/٦.

٢ انظر التفسير البياني ١٩٥/١.

صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله.

٤- في فهم أسرار التعبير: نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحمله نصاً وروحاً. ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات وشوائب الأهواء المذهبية، وبدع التأويل[١].

والحقيقة أن هذا المنهج الذي أسندته المفسرة ونسبته لأمين الخولي أصله الأستاذ محمد عبده وسار على نهجه من تبع مدرسته في التجديد والبعد عن التقليد أمثال الخولي ورشيد رضا والمراغي على تفاوت بينهم في الالتزام به، ففي الوقت الذي وجه فيه الشيخ عنايته إلى تجلية الهداية القرآنية من حيث هو كتاب هداية إلا أن مدرسته أثرت في الاتجاه الأدبي البياني لأن من أهدافه الأولى الإصلاح اللغوي، أما الخولي فقد نحا في التجديد إلى الدراسة الأدبية التي أثمرت في جهود تلامذته وأولهم بنت الشاطئ.

وتأثرها بالمنهج الإشراقي اقترن بتمييزها لمنهجها الذي خالفت فيه المنهج الباطني والبهائي[٢]، كما تميز تأثرها بالمنهج العقلي بإبراز الاتجاه الأدبي الذي ظهر واضحاً في عنوان تفسيرها البياني[٣].

---

[١] الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن، ج١، دار المعارف، ص ١٠-١١.

[٢] انظر نماذج لهذا التمييز في التفسير البياني ٢/ ٤٠، والقرآن وقضايا الإنسان ص ٢٥٩، ٣٤٣، ٣٦٦، ٣٦٧- ٣٦٩.

[٣] انظر: التفسير البياني ١/ ٢٥-٢٦، ٢-١، ٢٠٩، ٢١٠.

ومن استقراء تفسيرها تتضح بعض الملامح والأسس التي سارت عليها ومنها:

أولاً : الاحتكام إلى القرآن في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية: بدراسة الكلمة بأماكن متعددة من ورودها ودراسة ما يشبهها من الكلمات من جانب الدلالة والمعنى، ثم دراسة الكلمة في الموقع الخاص الذي يراد فهمه[1] فتقول: "تعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين ولا نعرضه عليها، ولا نأخذ فيه بتأويل علماء السلف على صريح نصه وسياقه لتسوية قواعد الصنعة النحوية وضوابط علوم البلاغة، إذ القرآن هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجازه وبيانه وهو النص الموثق الذي لم تشبه – من أي سبيل– أدنى شائبة مما تعرضت له رواية نصوص الفصحى من تحريف أو وضع، ثم إنه ليس بموضع ضرورة كالشواهد الشعرية ليجوز عليه ما يجوز عليها من تأويل"[2].

ومن الأمثلة على ذلك تعليقها على موقف المفسرين الذين وقفوا طويلاً عند تفسير كلمة " أَرَأَيْتَ" في سورة العلق التي تكررت ثلاث مرات في آيات متتالية دون أن يصرح فيها بالمفعول الثاني للفعل"رأى" على ما تقتضيه الصنعة الإعرابية. وبعد أن ذكرت رأي الزمخشري في الكشاف، ورفض أبي حيان لمذهبه

دون أن يتخلص هو أيضا من الصنعة اللغوية ... وبعد ذلك تقول: "ونحتكم إلى البيان القرآني فيما اختلفوا فيه، فتلقانا ظاهرة أسلوبية لافتة إلى أن القرآن قلما يتعلق بذكر مفعول ثان في الأسلوب الاستفهامي بـــ " أَرَأَيْتَ" خطاباً للجميع، وإنما يستغني عن هذا المفعول بتقرير يلفت إلى موضع العبرة والنذير كما في آيات :"

[1] عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ص ٤٠٥.
[2] بنت الشاطيء، التفسير البياني ١١/١ المقدمة

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ.فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ " الماعون:١[1] ومثلها السؤال التقريري خطابا للجمع في آيات الواقعة: "أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ..."؟ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ..."[2] فتعقب بعد ذلك بالقول: "هي إذن ظاهرة أسلوبية كان ينبغي أن تلفت إلى وجهٍ في البيان العربي يستغني عن المفعول الثاني لـــ "رأى" حين تقترن بهمزة الاستفهام في الخطاب فلا نشغل بالتماس هذا المفعول الثاني خضوعا للصنعة النحوية، بل أولى منه أن نتدبر سرّ هذه الظاهرة الأسلوبية وهو الالتفات إلى موضع العبرة والبصر والتنبيه بما يغني عن التعلق بجواب محذوف أو مقدر[3].

وكثيراً ما تطرح أقوال المفسرين وتأخذ بالسياق على ظاهره، مثل تفسير كلمة "اقرأ" في سورة العلق ومعانيها في التكرار، فتقول: الأولى أخذ السياق على ظاهره بما يفيد من تأكيد الأمر الإلهي للمصطفى بالقراءة، وإذا كان لا يدري ماذا يقرأ فقد تولى الوحي بيانه، فليقرأ باسم ربه..."[4] وكذلك في تأويل "كلا" -التي تفهم للزجر والردع- بمعنى (حقاً) فتقول: وهذا من عجيب تأويلاتهم، فالكلمة متلوة مباشرة بطغيان الإنسان، والآيات حافلة بما يتوجه إليه الردع والنذير[5].

ثانياً : نقدها للمنهج المتبع في دروس التفسير: تقول المفسرة: "وكان المنهج المتبع في درس التفسير - إلى نحو ربع قرن من الزمان- تقليدياً أثرياً لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم[6]، ورأت أن

---

[1] وانظر آيات أخرى مثل : مريم: ٧٧-٧٨ ، والفرقان : ٤٣، والجاثية : ٢٣، والنجم : ٣٣-٣٨.

[2] ومثلها آيات يونس : ٥٩، الشعراء :٧٥ ، فاطر:٤٠ ، الزمر:٣٨ ، النجم : ١٩، الأحقاف:٤.

[3] انظر تفسيرها ٢/٢٧-٢٩.

[4] التفسير البياني ٢/٢٠.

[5] قد أشارت في تفسيرها إلى النيسابوري في تفسير غرائب القرآن لقوله: "لأنه ليس قبلها ولا بعدها شيء يتوجه إليه الردع" انظر ٢/٢٤.

[6] هذا الكلام سنة ١٩٧٧.

الخولي هو الذي خرج عن ذلك النمط التقليدي وتناوله نصاً لغوياً بيانياً على منهج أصله، وهي ترى أن يجعل النص القرآني موضوعاً لدراسة منهجية على غرار ما يفعل بنصوص أخرى لا سبيل لمقارنتها بالقرآن الكريم في إعجازه البياني.

ولذلك كانت حريصة على توثيق العلاقة بالعلوم العربية والإسلامية، من حيث لا يصح لدارس فقه الإسلام دون رسوخ في علوم العربية، كما لا يصح له رسوخ في العربية دون دراية بعلوم القرآن والإسلام"[1].

كما أنها ترى أن الدراسة التخصصية في فنون اللغة العربية هي الطريق الأمثل لتدبر القرآن ووعي بيانه .

كما تعد الدراسة المنهجية لنص القرآن الكريم طريقاً لفقه دلالاته وإدراك مقاصده، أو غير ذلك فهو مطالب بأن يعد لمقصده عدته من فهم مفردات القرآن وأساليبه ولمح أسراره[2].

ثالثاً : الحرص على فهم النص من كل لفظة وحركة ونبرة للوصول إلى أسراره البيانية[3] بالدرس المنهجي الاستقرائي والتدبر المرهف: في اللفظ لا يقوم مقامه سواه، وفي الحرف لا يؤدي معناه حرف آخر، وفي الحركة أو النبرة تأخذ

---

[1] المصدر نفسه.

[2] تفسيرها ١٤/١-١٥.

[3] وقد سبقها إلى ذلك مصطفى صادق الرافعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، فقد جاءت نظريته عن سر الإعجاز القرآني في: الحروف وأصواتها، والكلمات وحروفها، والجمل وتركيبها، يقول الرافعي فيه: "والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة حروف هي من الأصوات، وكلمات هي من الحروف، وجمل هي من الكلم، وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التي قامت به، فليس لنا بد في صفته من الكلام في ثلاثتها جميعا" ص١٧٩، وقد اتضح تأثرها بنظرية الرافعي جليا حيث جاء في كتابها الإعجاز البياني، في مبحث رأي في الإعجاز الذي تكلمت فيه عن هذه المحاور الثلاثة في: فواتح السور وسر الحرف، ودلالات الألفاظ وسر الكلمة، والأساليب وسر التعبير.

مكانها في النظر الباهر... وقد عبّرت عن رأيها في ذلك عن فواتح السور[١] وهي بذلك تنفي الترادف فتقول في مقدمة الجزء الثاني: "فإن القضية الكبرى في هذا التفسير وكل تفسير هي أنه لا يعني بحال ما تقديم كلمة يمكن أن تقوم مقام الكلمة القرآنية في سياقها على وجه المماثلة والترادف"[٢]، وقد تناولت هذه القضية خلال تفسيرها من مثل نفي الترادف لكلمتي القسم والحلف، واللهو والمشغلة، كما أفردت له مبحثاً في كتابها الإعجاز البياني وضربت له أمثلة كثيرة ربما كان للبعض مآخذ عليها في بعضها[٣].

كما أنها لا ترى في القرآن ما يقول عنه النحويون حرفاً زائداً بل كل له دور ومعنى، فمثلاً تقول عن الباء المرتبطة بكلمة نعمة في قوله تعالى: "مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ" القلم:٢، تقول: "وقد جرى النحاة والمفسرون على القول بأنها زائدة، فهي... وباستقراء ما في القرآن من خبر ليس وما، يلقانا اطراد وقوع هذه الباء المقول بزيادتها في خبر المفرد غير المؤوّل، لم تتخلف إلا في بضع آيات لها سياقها الخاص الذي يوجه إلى الاستغناء عن الباء[٤]، ثم تقول: "ولا يهوّن القول بأن الباء حرف جر زائد، إذ مقتضى القول بزيادتها إمكان الاستغناء عنها، وهو ما لا يؤنس إليه البيان القرآني.. والنحويون من المفسرين يذهبون إلى أن الباء زائدة

---

[١] انظر كتابها "الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق" في المبحث الثاني: " رأي في الإعجاز" ص١٢٢-١٢٣.

[٢] مقدمة تفسيرها ٩/٢.

[٣] انظر تفسيرها ١٦٧/١، ١٩٥، وكتابها الإعجاز البياني في شرحها لدلالات الألفاظ وسر الكلمة ص ١٩٣-٢١٠ قالت فيه: " من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية واختلفت مذاهبهم، والبيان القرآني يجب أن يكون له القول الفصل فيما اختلوا فيه حين يهدي إلى سر الكلمة لا تقوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المعقول بترادفها"

[٤] تشير المفسرة إلى تفصيل هذه المسألة في المبحث الثاني: سر الحرف من كتابها (الإعجاز البياني) حيث قالت: "ما من حرف في القرآن تأولوه زائداً أو قدروه محذوفاً أو فسروه بحرف آخر، لا يتحدى بسره البياني كل محاولة لتأويله على غير الوجه الذي جاء به في البيان المعجز" ص ١٢٥-١٢٦.

لتأكيد النفي[1]، ونقول: إن الآية لا تؤخذ بمعزل عن نظائرها، والذي نطمئن إليه في هذا التدبر لما استقرأنا من هذا الأسلوب في القرآن هو أن الباء تأتي في خبر المنفي بما أو ليس فتجعله جحدا وإنكارا، وتضرب لذلك أمثلة منها: "وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ" ، و"وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ" ، و "وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "[2].

وحتى تدرك الدكتورة "بنت الشاطئ" الحكمة من اقتران خبر ليس وما النافية غالباً بالباء، قامت باستقراء الآيات القرآنية التي أوردت خبر كان المنفية، وخبر ليس وخبر ما، ولاحظت متى يجرد الخبر من الباء ومتى يقترن بها، وخرجت من هذا الاستقراء بقاعدة مطردة لتجريد الخبر من الباء، وقاعدة أخرى لاقترانه بها، وخلصت إلى أن الباء الداخلة على خبر "ما" و"ليس" لا تكون زائدة، وإنما هي وفق قاعدة بلاغية بيانية، وملحوظة في الأسلوب القرآني البليغ المعجز[3].

وعلى هذا رجحت قول ابن القيم في تفسير الحروف المقطعة على هذا الأساس بعد أن ذكرت أقوال العلماء وهو التنبيه على شرف الحرف وعظم قدرها وجلالتها إذ هي مباني كلامه تعالى...فقالت: وهذا الوجه قريب إلى مجال دراستنا البيانية" كما فصلت هذا القول في كتابها (الإعجاز البياني)[4].

رابعاً : مزاوجتها بين العقل والنقل: إن أهم ما يميز عمل بنت الشاطيء هو مزاوجتها ببراعة بين العقل والنقل، في تفسيرها، فهي توظف ما ذهب إليه الأقدمون فتثبت مسألة النقل وتمد الجسور من خلال العقل لتكون المحصلة النهائية

---

[1] وهي تشير إلى الزمخشري في الكشاف في تفسير سورة القلم، ١٢٦/٤.
[2] انظر تفسيرها ٢/ ٤٦، وانظر ذلك الاستقراء في الإعجاز البياني ص ١٧٠-١٧٦.
[3] الخالدي صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن ص ١٤٨.
[4] الإعجاز البياني ص ١٢٦-١٦٧

التجديد لا التقليد، فقد فندت بنت الشاطيء بعض آراء السلف وقبلت البعض الآخر، وكان هذا منهجها الذي مهّد لتقديم إضافتها الخاصة في تطوير بعض التفاسير في إطار حدود واضحة التزمتها مؤداها: أن الأولوية للنص القرآني، لا للمنهج الذي من أجله لجأ الكثيرون إلى ليّ عنق النص، فقدمت بمنهجها العقلي الإصلاحي نموذجاً لعملية البناء الفكري الذي يساهم في البناء الحضاري للأمة[١]، تقول عائشة في مقدمة الجزء الثاني: "كما ننتفع بجهود المفسرين حين نعرض أقوالهم على القرآن الكريم فنقبل منها ما يحتمله نصاً وسياقاً.."[٢].

خامساً: تنقية التفسير من الشوائب: وأولها الإسرائيليات التي حشيت بها كتب التفسير وحاول بها يهود ممن دخلوا الإسلام طوعاً أو نفاقاً، وشوائب أخرى جاءت نظراً لتباين أذواق المفسرين وعقلياتهم وبيئاتهم، وأنماط شخصياتهم من ذلك العالم الواسع.. وتقاسمته ألوان من عصبيات مذهبية وسياسية وطائفية.. تتذوقه متأثرة بظروفها الخاصة وتوجه النص توجيها يعوزه في كثير من الأحيان ذوق العربية النقي، ومزاجها الأصيل، وقد ينحرف به عن وجهته ضلال التعصب، أو خطأ المنهج أو قصور التناول[٣].

ولذلك لا تتفق عائشة مع القصص الذائعة في بعض كتب التفسير والتي تقول أن حواء كانت سبب خروج آدم من الجنة، وقد شنت هجوماً واسعاً على الذين يرون المرأة بمنظور واحد ينحصر في وصف النساء بأنهن مادة للشهوة والمعصية والإغراء، وقد ذكر المفسرون مثل الطبري والآلوسي[٤] وكذلك العقاد[١] قصصاً

---

[١] من بحث قدم لندوة بنت الشاطيء: المرأة والعصر، في موقع إسلام أون لاين.
[٢] التفسير البياني ٢/ ٨.
[٣] تفسيرها ١٦/١.
[٤] ذكر كل من الطبري والآلوسي روايات إسرائيلية في قصة أكل آدم وحواء من الشجرة وخروجهما من الجنة، فقد أورد الطبري روايات كثيرة في تفسير آيات من البقرة: آية ٣٥-٣٦، ٣٦٣/١-٣٤٦، والأعراف آية: ١٩-٢٢، ١٨٩/٥، وروح المعاني للآلوسي في تفسير الآيات الواردة في سورة البقرة ٣٧٢/١-٣٧٥.

إسرائيلية تنص على أن حواء سبب إغراء آدم وغوايته، ولكن عائشة فندت هذه المزاعم التي لا تتناغم مع ركائز القرآن الكريم، وتعلقت بنت الشاطيء بالقرآن الكريم الذي كرّم المرأة فطالبها بمشاركة الرجل في تعمير الحياة وإدارة الأمور بإرادة قوية كما حذّرت في ذات الوقت من مدسوسات الإسرائيليات وأباطيل الأساطير التي شابت تراثنا الفكري وتركت آثارها في ممارساتنا..

ومثل ذلك وقفت من تأويلات الإشاريين مما لا دليل عليه مثل تأويل كلمة(الضحى) بأنه وجه محمد ﷺ والليل شَعره، أو أن الضحى هم ذكور أهل بيته ﷺ والليل إناثهم، ويحتمل أن يقال: الضحى نور علمه الذي يعرف به المستور من الغيوب، والليل عفوه الذي يستر به جميع العيوب، أو هي إشارة بالضحى إلى إقبال الإسلام بعد أن كان غريباً وبالليل إلى أنه سيعود غريباً كما بدأ إلى آخر هذه التأويلات الإشارية التي لا موضع لها في تفسير بيان النص القرآني[٢].

سادساً : التفسير الموضوعي: ذكرت في مقدمة تفسيرها بأنه الأصل في منهج التفسير الذي تلقته عن أستاذها - أمين الخولي- وهو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك فتقول: "وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، يؤخذ اللفظ والآية فيه مقتطعاً من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل إلى الاهتداء إلى الدلالة

---

١ انظر كتاب: العقاد عباس محمود، المرأة في القرآن ، ذكر في الفصل الثالث منه ص ١٧- ٢٦، تحت عنوان "هذه الشجرة" قصة الشجرة الممنوعة وغواية الشيطان لآدم وحواء ونقل عن الطبري والآلوسي إسرائيليات تفيد إغراء حواء لآدم بالأكل من الشجرة جعله يقول: " وكل خلق من أخلاق المرأة مرموز إليه في قصة الشجرة، ومنها الولع بالممنوعات، كما يولع بها كل محكوم مضطر للاتباع" ثم يقرر أن الإغواء هو محور المحاسن النساء..!! ص ٢٠-٢١.

٢ التفسير ٣٢/١.

القرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية"[١]. وكان تطبيقها لهذا المنهج في تفسير بعض سور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع وأكثرها من السور المكية لتأكيده على الأصول الكبرى للإسلام، وهي بهذا توضح الفرق بين التفاسير المعهودة في طريقتها، ومنهجها الاستقرائي الذي يتناول النص في جوّه الإعجازي، ويقدر حرمة كلماته بأدق الضوابط، والتزام قول السلف الصالح: "القرآن يفسر بعضه بعضاً" والتي ترى عدم التزامهم بها دائماً، وهي ترى أن هذه المحاولة تكشف شطط التأويل في كثير من كتب التفسير واللغة والبلاغة والتي تحمل ألفاظ القرآن وعباراته ما يأباه القرآن عند الاحتكام إليه.

وبناءاً على هذا الأساس تفسر القرآن بالقرآن في بيان المعنى[٢] كما في كلمة (الحطمة) فتقول: "وثلاث مرات بصيغة حُطام في آيتي(الزمر٢١، والحديد٢٠) للزرع المصفر اليبيس المهشم، تمثيلا لحطام الدنيا.. والقرآن يغنينا عن تأويل الحطمة في الآيات بعدها وتبدأ بالسؤال: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ"[٣].

ومثاله الآية التي مرت "مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ" القلم:٢، تقول عن معنى النعمة: "وقد سبق استقراء ما في القرآن من لفظ نعمة في تفسير آية التكاثر: "ثُمَّ

---

١ مقدمة تفسيرها ص ١٧- ١٨.

٢ وقد تقدمها في المنهج - في هذه الجزئية - من معاصريها الأستاذ عبد الكريم الخطيب (ت ١٩٨٥م) في كتابين أحدهما "اليهود في القرآن"، والآخر "التفسير القرآني للقرآن" ففي الأول جمع كل الآيات المتعلقة باليهود وصنفها إلى مواضيع فاستعان بتفسير الآيات بعضها لبعض، أما تفسيره والذي جاء في ٦ مجلدات فقد اتبع منهجاً محدداً بذكر نوع السورة مكية أو مدنية، وعدد آياتها وكلماتها وأسمائها، ثم يفسر الآيات متتابعة ويقتصر على تفسيرها بما جاء في آية أو آيات أخرى، ففي تفسيره للضالين في سورة الفاتحة لم يذكر تفسير الرسول ﷺ بل ذكر ما يفسرها من القرآن في وصف اليهود بأنه مغضوب عليهم في آية ٦٠ من سورة المائدة، انظر تفسيره ٢٠/١، وقد يعقد فصولاً لعلوم القرآن عند الحاجة كما في تفسيره لآيات النسخ، وهو في كل ذلك لم يتطرق إلى اللغة أو البيان والبلاغة وبذلك يتضح ما بين تفسيره وتفسير بنت الشاطئ من اختلاف حيث كان تفسيرها الموضوعي للقرآن بالقرآن في اتجاهه اللغوي الأدبي لبيان إعجازه.

٣ انظر تفسيرها ١٧٥/٢.

لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" وهدى الاستقراء إلى أن القرآن يستعمل النعمة لنعيم الدنيا، ويخص صيغة النعيم بدلالة إسلامية على نعيم الآخرة".

وأحيانا تعرض أقوال المفسرين وترجح ما تراه مناسباً لمنهجها كما في جملة (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) فتقول: وجمهرة المفسرين على أنها جملة اعتراضية كما تقول لصاحبك: أنت بحمد الله فاضل، وهذا أقرب ممن تأولوه..[1].

ومثل ذلك في كلمة (الضلال) في تفسير آية "وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى" الضحى:٧، حيث أورد المفسرون لها تأويلات كثيرة تخلصاً من معنى الكفر الذي ينافي العصمة فتقول: "وما بنا حاجة إلى كل هذه التأويلات.. بل يكفي في الرد: أن الاستعمال القرآني لا يلتزم دائما هذا المعنى الاصطلاحي، وإنما لُحظ فيه الأصل اللغوي من ضلال الطريق أو عدم الاهتداء إلى الصواب" بدليل آيات: "تالله إنك لفي ضلالك القديم" و"إن أبانا لفي ضلال مبين" وليس الضلال هنا كفراً، وإنما هو الشغف بيوسف[2]، وهذا المعنى سبق إلى تقريره المعتزلة، وذكره الزمخشري[3].

سابعاً: موقفها من مرويات أسباب النزول وترتيبه: وهي تقرر في هذا مسألتين في المنهج[4]:

---

[1] تفسيرها ٢/٤٥-٤٦.

[2] تفسيرها ١/٤٤- ٤٦، وانظر آيات أخرى، الشعراء:٢٠، والبقرة: ٢٨٢.وانظر في تفسيرها إيراد أقوال العلماء لتفسير كلمة "الضحى" فتقول: ..نرى القرآن الكريم استعمل الضحى مقابلاً للعشية في آيات منها النازعات: ٤٦ و٢٩، والأعراف: ٩٧، وطه: ٥٩.

[3] نبّه الزمخشري إلى معنى الضلال الوارد في الآية "معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع، كقوله تعالى "ما كنت تدري ما الكتاب.." وبعد أن ذكر أقوال المفسرين قال: "ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة، فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم، وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله، والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها عن الكبائر والصغائر الشائنة، فما بال الكفر والجهل بالصانع". الكشاف ٤/٢٦٤-٢٦٥.

[4] انظر مقدمة الجزء الثاني ص ٨- ٩.

أولاهما: أن المرويات في أسباب النزول موضع اعتبار في فهم الظروف التي لابست نزول الآية ، مع تقدير أن الصحابة الذين عاصروا نزولها ورويت عنهم أقوال فيها، ربطها كل منهم بما وهم أو فهم أنه السبب في نزولها، وهذا معنى قول علماء القرآن: إن المرويات في أسباب النزول يكثر فيها الوهم. ونقدر معه أن السببية فيها ليست بمعنى العلية التي لولاها ما نزلت الآية...

والأخرى: أن ترتيب النزول موضع اعتبار كذلك لفهم السياق العام لما نتدبر من آيات القرآن الكريم ودلالات ألفاظه وخصائص بيانه في المصحف كله "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً" النساء: ٨٢.

ثامنا: موقفها من التفسير العلمي: من أبرز المعارك الفكرية التي خاضتها المفسرة معركتها ضد التفسير العصري المسمى بالتفسير العلمي للقرآن الكريم، وقد خاضتها مع الدكتور مصطفى محمود في أوائل السبعينيات، لأن القرآن كتاب هداية وليس كتاباً علمياً في الفيزياء أو الكيمياء أو غير ذلك.. وكانت مقالاتها في الأهرام عنيفة فمن أقوالها: "لا بد أن يكون فهمنا لكتاب الإسلام محرراً من كل الشوائب المقحمة والبدع المدسوسة بل نلتزم في تفسيره ضوابط منهجية تصون حرمة كلماته فنرفض بها الزيف والباطل ونتقي أخذة السحرة وفتنة التمويه وسكرة التخدير"، وكانت في كل مرة ترد بالحجج والعقل والمنطق لمواجهة ما يتعرض إليه القرآن الكريم من التكذيب في ظل النظريات العلمية المتغيرة[1].

[1] يلتقي منهج الدكتورة بنت الشاطئ في موقفها من التفسير العلمي مع ما ذكره الإمام محمود شلتوت شيخ الأزهر رحمه الله في مقدمة تفسيره للأجزاء العشرة الأولى من القرآن تحت عنوان: " تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية" ص ١١- ١٤، تحدث عن هذه الطائفة من المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث وأخذوا يفسرون آيات القرآن على مقتضاها، وبين جوانب الخطأ في

ففي تفسيرها لسورة العلق في قوله تعالى: "خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ" آية:٢، تقول: "وليس هو على أي حال بأبعد مما ابتدعه محدثون اتجهوا بهذه الآية إلى مجال البحث في علم الأجنة، والتمسوا المراجع الأجنبية لعلماء الفسيولوجيا والبيولوجيا لفهم آية نزلت على النبي ﷺ في قوم أميين لم يسمعوا قط ولا سمع عصرهم بعلم الأجنة، وغير متصور أن يكون القرآن الكريم قدم لهم من آيات ربوبية الخالق وقدرته ما لا سبيل لأحد منهم إلى تصوره، فضلا عن فهمه وإدراك... ولم يكونوا في حاجة إلى درس في علم الأجنة أو مراجعة كتاب في المكتبة الأمريكية التي ظهرت بعدهم بقرون، ليفهموا آية خلق هذا الإنسان من علق في أرحام الأمهات، وهم الذين ألفوا استعمال: علقت المرأة، بمعنى حملت.."[1].

والتفسير العلمي لآيات الأنفس والآفاق في ضوء الحقائق العلمية الثابتة مفيد ونافع كوجه من وجوه الهداية، ووسيلة عصرية لها أثرها في الدعوة للإسلام خصوصاً لغير المسلمين ولمن لا يعرف العربية.

تاسعاً: مصادرها في التفسير: اعتمدت المفسرة على مختلف كتب التفسير المتقدمة والمتأخرة والمعاصرة من كتب التفسير بالمأثور وغيرها كتفسير الطبري

هذا الاتجاه بما يتفق مع ما ذهبت إليه بنت الشاطئ، غير أنه حاول علاج الأمر بهدوء قائلا:" فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته... وحسبنا أن القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول". غير أن بنت الشاطئ كان موقفها عنيفاً جعلها تخوض معركة كلامية مع أصحاب التفسير العلمي، أما منهج الشيخ شلتوت في "تفسيرالقرآن الكريم" فقد سلك طريقة فريدة فيه، فهو يجمع بين الطريقتين الموضوعية والتحليلية، وإن كانت الأولى هي التي تغلب على تفسيره، فهو حيناً يعرض للسورة من القرآن بذكر سبب تسميتها، والظرف الذي نزلت فيه، مقارناً بينها وبين غيرها من السور الشبيهة بها من حيث الموضوع، أو من حيث البدء، ثم يذكر أهم موضوعات السورة عقدية أو قصصية أو تشريعية ويبدي رأيه في كل مسألة خلافية ثم يفسر بعض الآيات تفسيراً تحليلياً، ويمثل تفسيره الدراسة العلمية الموضوعية التي تجعل القرآن أصلاً للبحث وأساساً للتشريع. انظر: فضل حسن عباس، المفسرون مدارسهم ومناهجهم ص ٢٧٨-٢٧٩، ومنيع عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين ص٣٤٨.

[1] راجع تفسيرها ١٨/٢.

والكشاف والبحر المحيط والرازي، وغرائب التفسير للنيسابوري، كما تشير إلى محمد عبده، وبعض مؤلفات علوم القرآن كالإتقان للسيوطي والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية، وبالرجوع لتفسيرها يمكن ملاحظة إحالاتها إلى هذه المصادر فيه.

وبالرغم من اعتمادها على هذه التفاسير إلا أنها كثيراً ما تقف منها موقف الناقد في حال عدم مطابقة أقوالهم لما تذهب إليه في تطبيق منهجها في تتبع اللفظ في القرآن كله.

وكثرة انتقادها للمفسرين مع أنها تأخذ منهم كان من أسباب المآخذ عليها من قبل بعض المختصين المعاصرين والدارسين، مما جعل البعض يتتبع ما كتبت ليسجل عليها بعض الملاحظات وإن كانوا يقدرون جهدها في بيان إعجاز القرآن الكريم.

ومن تلك المآخذ على بنت الشاطئ ما جاء في كتابها "القرآن وقضايا الإنسان"[١] حيث تقول: وإلا جاز لنا أن نفسر لفظ "قرية" في آية "وما من قرية إلا خلا فيها نذير.." مع أن الآية " وما من أمة.." فاطر: ٢٤، ومعارضتها للقول أن حواء خلقت من ضلع آدم وأن التعبير إن صح فهو مجازي، علماً أن الحديث صحيح أخرجه مسلم، ولا داعي لحمله على المجاز مادام يمكن حمله على الحقيقة.

وقد سجل الدكتور فضل عباس بعض الملاحظات ما لها وعليها وفي نقدها للمفسرين ذكر أنها تنكر عليهم جهدهم في تفسير كتاب الله وتدعي ما لا يجوز لها ادعاؤه، فهي تحمل على المفسرين قديمهم وحديثهم وتحشد الأقوال مما استحسنوه أو من الذي ذكروه فردوه، وتأتي بها جميعها على أنها أقوال مختارة لهم فيقول:

[١] انظر المصدر ص ٣٢٠.

"وما نظن مثل هذا يتفق مع عرفان الجميل أو مع الأمانة العلمية" وذكر أمثلة على الأخطاء العلمية لها، وقد تنسب للمفسرين ما لم يقصدوه.[1]

وفي مخالفتها للمفسرين- حباً في المخالفة والادعاء كما يرى- تقع في أخطاء كما في تفسير " لتسئلن يومئذ عن النعيم" التكاثر:٨، في أن المسؤول هنا هم جميع البشر، ورجحت أن يكون المسؤول الكفار وحدهم، وخالفت المفسرين في المقصود بالنعيم حيث يرجح المفسرون أن النعيم الذي يسألون عنه هو نعيم الدنيا، إلا أنها ترى أنه نعيم الآخرة.

ومنها أنها قد تذكر لفتة بيانية سُبقت إليها مبينة جدتها زاعمة أن المفسرين لم ينتبهوا إليها، وأنها تذكر أقوالاً كثيرة للمفسرين حق على ذي التفسير البياني أن يتجنبها[2]. كما أخذ عليها قولها: أن المفسرين وهم يكتبون يحملون في نفوسهم فكرة ما تسيطر عليهم فتأتي أقوالهم مشوشة.. وهي تتعقب المفسرين في القضايا اللغوية وغيرها[3].

ويرى الدكتور صلاح الخالدي أنها تعمدت إغفال كتاب "التصوير الفني في القرآن" لسيد قطب رحمه الله حين تحدثت عن كتب الإعجاز البياني قديماً وحديثاً بإيجاز، ووقفت وقفة قصيرة عند كتاب الرافعي، وذكرت من هو بعد سيد قطب[4].

وقد تدلي برأي تدعي فيه الجدة وقد قاله المفسرون قبلها "وليس معنى الجدة أو الجهد الذاتي عند الباحثة أنها غير مسبوقة بآرائها وملاحظاتها البيانية فالحق

---

[1] انظر تلك الأمثلة للمآخذ عند: فضل حسن عباس، إعجاز القرآن ص ٣٢٩-٣٤٩.

[2] راجع تلك الأمثلة التي أنكرتها على المفسرين بغير وجه حق، تفسيرها ص٣٣٠-٣٣٦.

[3] انظر التفاصيل والرد عليها في كتاب: فضل حسن عباس ، المفسرون مدارسهم ومناهجهم ص ٤٨٩.

[4] الخالدي صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص ٣٣٣-٣٣٥.

أن كثيراً مما أوردته ودلت به على غيرها من المفسرين والبلاغيين واللغويين ليس إلا عرضاً جديداً واختياراً ما لوجه من الجهود القديمة في التفسير..."[١].

والحق أن المفسرة أشادت بجهود من سبقها في مواطن كثيرة كما أوضحت في مقدمة تفسيرها.

❁❁❁

[١] محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٦٠٥، وراجع فيه أمثلة لما قال ص ٦٠١-٦١٠.

المبحث الثاني
جهود الداعية المفسرة زينب الغزالي

زينب محمد الغزالي الجبيلي، عربية الأصل، ينتهي نسب والدها من أبيه إلى عمر بن الخطاب ﷺ، وأما نسب أمها فينتهي إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقد ولدت في يناير ١٩١٧م، في قرية في محافظة البحيرة، ونشأت بين والدين ملتزمين بالإسلام، وكان والدها - رحمه الله - من علماء الأزهر الشريف، وقد أثرت تربيته الدينية أشد الأثر فيها[١]، وكان يناديها نسيبة تيمناً بالصحابية الجليلة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية، وكان حريصاً على تنشئتها تنشئة إسلامية متكاملة، انتقلت إلى رحمة الله في يوم ٢٠٠٥/٨/٨م عن عمر يناهز ٨٨ عاماً.

تعليمها : القديم والحديث

بعد وفاة والدها انتقلت مع والدتها إلى القاهرة للعيش مع إخوتها الذين يدرسون ويعملون هناك.. ولم يوافق أخوها الأكبر محمد على تعليمها رغم إلحاح زينب وإصرارها.. وكان يقول لوالدته: إن زينب قد علمها والدها الجرأة، وألا تستمع إلا لصوتها ولعقلها.. وكانت والدتها ترى أن عليها طاعة أخيها؛ لأنه بمثابة الوالد.. لكن أخاها عليا وهو الأخ الثاني الذي رأى أن تعليمها سوف يقوّم أفكارها ويصوب رؤيتها للأشياء والناس.. واقتنى لها الكتب وأهمها كتاب لعائشة التيمورية عن المرأة الذي حفظت زينب أكثر مقاطعه.. لكنها لم تكتف بالكتب والقراءة الحرة،

[١] انظر: ابن الهاشمي، الداعية زينب الغزالي مسيرة جهاد وحديث من الذكريات من خلال كتاباتها، ص ١٧، وقد جمع فيه ابن الهاشمي مقالاتها التي كانت تنشرها في مجلة الدعوة، وجلها في قضايا المرأة، وقد صدر الكتاب الشيخ محمد الغزالي، تبعه حوار أجراه معها لخصت فيه مسيرتها الدعوية.

بل ذهبت لمقابلة مدير مدرسة وقصت عليه قصتها وموقف شقيقها الأكبر من تعليمها وطلبت منه أن يَقْبلها طالبة في مدرسته.. وعندما سأل عن والدها وأخيها عرفها وعرف أسرتها.. وأعجب بذكائها وجرأتها.. فطلب منها إحضار أخيها علي الذي يؤيد تعليمها ليسجلها في المدرسة.. وهكذا تمّ قبولها ودرست في المدارس الحكومية، لكنها لم تكتف بذلك بل تلقت علوم الدين على مشايخ من رجال الأزهر الكبار في علوم التفسير والفقه ومنهم الشيخ عبد المجيد اللّبان وكيل الأزهر، والشيخ محمد سليمان النجار رئيس قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف، والشيخ علي محفوظ من هيئة كبار العلماء بالأزهر.

وبذلك فقد جمعت زينب الغزالي بين الطريقتين في العلوم: المدرسية الحديثة والتقليدية القائمة على أخذ العلم من شيوخه وأهله مباشرة.

الاتحاد النسائي والبعثة

بعد حصولها على الثانوية طالعت في إحدى الصحف أن الاتحاد النسائي الذي ترأسه هدى شعراوي ينظم بعثة إلى فرنسا تتكون من ثلاث طالبات، وتمنّت زينب أن تكون ضمن هذه البعثة، وتوجهت إلى مقر الاتحاد والتقت هدى شعراوي التي تعاطفت معها ورثت لحالها وموقف أخيها المتزمت معها، وعلى الفور سجلتها في جمعيتها، وأظهرت ترحيبها بها لأنها خطيبة مفوهة كوالدها رحمه الله.. وراحت تقدمها لرواد الجمعية وتطلب منها أن تخطب فيهن.. وكانت ترى فيها خليفتها للاتحاد النسائي.. وسرعان ما وجدت زينب اسمها على رأس البعثة التي تمنتها.. لكن الله أراد لها غير ذلك.

ذات يوم رأت والدها في منامها يطلب منها عدم السفر إلى فرنسا ويقول لها: إن الله سيعوضك في مصر خيرا مما ستجنينه من البعثة.. فقالت له: كيف؟

قال: سترين!! ولكن لا تسافري لأنني لست راضيا عن سفرك .. لذلك اعتذرت زينب عن عدم الذهاب للرحلة.

ظلت زينب تعمل عضوا بارزاً في الاتحاد رغم اعتراض بعض العضوات على خطابها الذي لا يخلو من نبرة إسلامية.. وظلت زينب تردد شعارات هدى شعراوي وتتبنى مشروعها لتنمية المرأة وإعدادها للنهوض، فكانت تتبنى مشروع هدى شعراوي من منطلق إسلامي وهو ما يمثل فخا لكثير من الفتيات.. حيث تغريهن شعارات التحرر، بل خاضت حربا فكرية ضروسا ضد الأزهر الذي تنبه لخطورة السم المدسوس في العسل..

وفي إحدى هذه اللقاءات أكد شيوخ الأزهر أن دعوة هدى شعراوي تريد الخروج بالمرأة المسلمة عن تعاليم دينها، فقامت زينب تناضل عن هدى شعراوي ومشروعها، وقد انبرى الشيخ محمد النجار لمواجهة زينب بالحكمة والموعظة الحسنة.. فاستمع إليها وهي تدافع عن هدى شعراوي وجمعيتها وأهدافها.. وقد لاحظ الشيخ قوة بيانها وفصاحتها وانتظر حتى انتهت من حديثها ثم تقدم منها برفق قائلا: هل تسمحين يا ابنتي أن أحدثك قليلا حول الدعوة الإسلامية؟ فأجابت طلبه المهذب وجلست تستمع إليه.. رفع الشيخ المبارك يديه إلى السماء سائلا ربه: اللهم إنِّي أسألك بأسمائك الحسنى وبكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت أن تجعلها للإسلام إنك على كل شيء قدير.. أسألك بالقرآن أن تجعلها للإسلام..

سألت الشيخ: لماذا تعتقد أنني لست مع الله وأنا أصلي وأصوم وأقرأ القرآن، وسأحج بيت الله حين أستطيع.. كما أتمنى أن أستشهد في سبيل الله.. فقال الشيخ الحكيم: أحسبك كذلك.. واستمر يدعو لها ثم سألها: هل ستعودين إلى هدى شعراوي بعد خروجك من هنا أم ستبقين مع الله ورسوله؟.. فقالت: وأنا مع هدى شعراوي أعتبر نفسي مع الله ورسوله.. لكنها عاهدته على نصرة الحق،

واستمرت علاقتها بالشيخ الذي علمها أمورا كانت تجهلها وأخرى كانت تخطئ فهمها..!!

الحادثة والتحول في حياتها

تعرضت زينب بعد ذلك لحادث شكل نقطة التحول في حياتها.. فقد انفجر موقد الغاز بها وهي تعد الطعام بمنزلها، وطالت النار كل جسدها.. فلزمت فراشها، وتردد عليها الطبيب لعلاجها في منزلها دون أن يبشر ببادرة أمل في الشفاء.. حتى إنها سمعت صوت أخيها يهمس بأن الطبيب أعلمهم أنها ستموت، وكانت تتيمم وتصلي لله وتقول: يا رب إذا كان ما وقع لي عقابا لانضمامي لجماعة هدى شعراوي فإنني قررت الاستقامة لوجهك الكريم.. وإن كان غضبك علي لأنني ارتديت القبعة فسأنزعها وسأرتدي حجابي.. وإني أعاهدك وأبايعك يا ربي إذا عاد جسمي كما كان عليه فسأقدم استقالتي من الاتحاد النسائي، وأؤسس جماعة لنشر الدعوة الإسلامية، وأدعو المسلمات إلى ما كانت عليه الصحابيات، وأعمل من أجل الدعوة وأجاهد في سبيلها ما استطعت..ويتقبل الله الكلمات الصادقات ويذهل الجميع لمعجزة الشفاء الذي كان بعيداً قبل أن تصعد دعوات زينب إلى السماء.. ومن الطريف أن الطبيب رفض أن يتقاضى أجرا على شفاء لم يصف له دواء!!!

جمعية السيدات المسلمات ونشاطها الدعوي

وفت زينب بعهدها لربها فور تمام شفائها.. وبدأت انطلاقتها الجديدة بخمار يتوج رأسها.. وإيمان يغمر قلبها واستقالت من الاتحاد النسائي.. وحاولت هدى شعراوي أن تؤثر في قرارها دون جدوى..

وهكذا مثلت زينب إجابة مبكرة لدعوات تحرير المرأة برؤية إسلامية.. ورداً مفحماً على كل التيارات التي حاولت ربط تخلف المرأة بالإسلام.. بل أثبتت الدور الدعوى والرسالي للمرأة المسلمة.. فقد أسست جمعية السيدات المسلمات في عام ١٩٣٧م، ولها فروع في أنحاء مصر، ولها أنشطة في مجال رعاية الأيتام والوعظ و التوعية الاجتماعية، وحصلت على التصريح للجمعية من وزارة الأوقاف.. وكان معها موافقة على إنشاء خمسة عشر مسجداً ، وكانت تعقد ١١٩ اجتماعاً في السنة، وأصدرت مجلة سياسية اجتماعية باسم "السيدات المسلمات" لقيت ترحيباً واسعاً، وقد زارت الكثير من الدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية وإلقاء المحاضرات الدينية، وأوضحت الكثير من المفاهيم حول فقه الدعوة إلى الله.. وأمضت في حقل الدعوة ٥٣سنة التقت خلالها بأبرز رجال الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت، وتأثرت كثيراً بفكر الشيخ حسن البنا تأثراً أثمر عن ضم جمعيتها إلى جماعته..

وقد اصطدمت مع جميع الأحزاب السياسية ومع السلطة الحاكمة.. وبلغ ذلك الصدام ذروته باعتقالها من منزلها ١٩٦٥م إثر رفضها مقابلة جمال عبد الناصر حين قالت لرسول الرئيس بجرأتها المعهودة: أنا لا أصافح يداً تلطخت بدم الشهيد عبد القادر عودة.. وقد تعرضت في السجن للتعذيب الشديد، وفتنت في عرضها[١].. وقد سجلت زينب محنتها الأليمة في كتابها الشهير "أيام من حياتي" والذي يعد وثيقة تاريخية لحقبة تاريخية مهمة من حياة الدعوة الإسلامية المعاصرة بين ١٩٦٤-١٩٧١م، وله قيمته وأثره في الحركة الإسلامية، وله كذلك قيمته الأدبية إذ ينم عن قلم أدبي مؤثر وحس مرهف.

[١] انظر حوار ابن الهاشمي معها ص ١٧-١٩، وانظر في الكتاب ما قيل فيها من أبيات شعر للسيد علي الجبيلي أيام سجنها، وللشاعر الأستاذ أحمد فهمي ص ١٥-١٦.

وقد زارت الكثير من الدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية وإلقاء المحاضرات الدينية، وأوضحت الكثير من المفاهيم حول فقه الدعوة إلى الله، وشاركت في المؤتمرات والذهاب إلى ملتقيات الجاليات الإسلامية في أوربا وفي الولايات المتحدة وأفريقيا وآسيا، وكانت تكتب يوميا وتقرأ بين ١٠ و١٢ساعة و كانت مرتبطة بكل قضايا العالم الإسلامي، وتستفتى هاتفياً في بعض أمور الدين. ولها أمل في مستقبل المرأة المسلمة.. وضرورة أن تكون القيادة النسائية لها والنهضة بالمجتمع تبدأ وتنتهي عندها..

وقد وصف الشيخ الغزالي مسيرتها العوية – كأحد النساء القلائل في عالمنا الإسلامي – بقوله: "والسيدة زينب الغزالي امرأة أصلب معدناً من رجال كثيرين، ولها طبع جرئ، وصراحة غلابة وإخلاص عميق..."[١]

أعمالها وكتاباتها

تعد مكتبتها من أضخم المكتبات التي يحتويها بيت عالم وفقيه؛ وتضم كتب التفسير والفقه، إضافة إلى العلوم الحديثة والكتب الدعوية والحركية، و في المكتبة كتب يزيد عمرها على مائة عام، ألّفت مجموعة من الكتب والمؤلفات منها "إلى ابنتي" في جزأين، و"مشكلات الشباب والفتيات في مرحلة المراهقة" في جزأين أيضاً، و "نحو بعث جديد" و "أيام من حياتي" و"نظرات في الدين والحياة" و"شرح الأربعين النووية" و"ملك وآمال شعب". و"نظرات في كتاب الله"، وكتب أخرى تحت الطبع منها: أسماء الله الحسنى ولغريزة المرأة، وقد ترجمت بعض أعمالها إلى عدة لغات.

[١] ابن الهاشمي، ص ١١.

والناظر في مؤلفاتها يجد فيها امرأة عالمة وفقيهة واعية لعصرها ولما يدور من حولها من أحداث، ويبرز ذلك في كتابها: نظرات في كتاب الله الذي فسرت فيه الفاتحة والسبع الطوال والتوبة ويونس وهود. لقد كان القرآن ملاذها في السجن فكانت تكتب على هامش المصحف بعض العبارات التي كانت تراها في تفسيره، لكنها أخذ منها هذا المصحف والتفسير ولم تكمله، وعندما خرجت بدأت تستعيد ثانية هذه المعاني، وبالفعل كتبت تفسيرها وطبع منه الجزء الأول سنة ١٩٩٤ وراجعه د. الفرماوي، ومازال الجزء الثاني غير منشور"[١].

تفسيرها نظرات في كتاب الله ومنهجه:

كانت تطمح أن تكون أول امرأة تكتب تفسير القرآن، ونجحت في ذلك واستقبل استقبالاً حسنًا، وكتبت عنه الصحف والمجلات باعتبارها خادمة القرآن الكريم، ويمكن رصد أبرز ملامح تفسيرها وأسسه فيما يأتي بإيجاز:

أولاً : تبدأ بعد بيان نوع السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها، بذكر فضائلها إن وجدت وما ثبت من أسباب نزولها كما فعلت في مطلع سورة آل عمران[٢] حيث ذكرت قصة وفد نجران للمدينة ٩هـ، ومناظرة الرسول ﷺ لهم، ثم دعوتهم للمباهلة، ولكنهم أبوا ورضوا بالجزية..، وقد استدلت بذلك على وجوب الدعوة لغير المسلمين، وعلى نسخ الإسلام للشرائع السابقة.

ثانياً : تعتمد في تفسيرها على المأثور من القرآن والثابت من الحديث وأقوال الصحابة والتابعين والسلف، ففي معنى التقوى في مطلع سورة البقرة أوردت معناها في آية أخرى من آل عمران، وأوردت حديثاً نبوياً يفسر معنى

---

[١] راجع في ترجمتها والتعريف بها مواقع على الإنترنيت " إسلام أون لاين" و " إخوان أون لاين".
[٢] راجع تفسيرها ص١٨٩-١٩٠.

التقوى وهو قول الرسولﷺ: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس"[١]، وأوردت أيضاً قولاً للإمام عمر وعلي وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم أجمعين[٢].

ثالثاً : تعتمد على كتب التفسير المتقدمة زمناً المأثورة، والحديثة المعروفة وأهمها تفسير ابن كثير[٣] والقرطبي[٤]، وفي ظلال القرآن لسيد قطب الذي يتوافق تفسيرها معه على خط واحد وهو التوجيه الدعوي والأدبي، وتستأنس أحيانا بتفسير الرازي.

وقد استفادت المفسرة من مشايخ عصرها حيث درست في المدارس ثم تلقت علوم الدين على مشايخ من رجال الأزهر الكبار في علوم الحديث وعلوم التفسير والفقه، ومن بين الأساتذة الذين ذكرتهم " الشيخ عبد المجيد اللبان وكيل الأزهر، والشيخ محمد سليمان النجار رئيس قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف، والشيخ علي محفوظ من هيئة كبار العلماء بالأزهر، والشيخ علي جعفر من قسم الوعظ والإرشاد، ويوجد أساتذة كبار أجازوني في علم الحديث، من بينهم الشيخ عليان من كبار هيئة العلماء ورئيس الفقه الشافعي في الأزهر هو الذي أجازني برواية الحديث، وأكثر من أثر في الشيخ محمد النجار[٥].

رابعاً : التنبيه على إعجاز القرآن في الحروف المقطعة، وضرب الأمثلة والتشبيه لتقريب المعنى، فبعد أن تذكر اختلاف العلماء وأقوالهم بإيجاز في تفسير الحروف المقطعة، تستأنس بقول سيد قطب بأنها لبيان التحدي والإعجاز، فتقول:

---

[١] رواه ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، ح(٤٢١٥)، ٤٠٩/٢، والترمذي في السنن كتاب صفة القيامة، باب ١٩، وقال: حسن غريب.

[٢] انظر التفسير، ص٢٠-٢١.

[٣] راجع تفسيرها ص ٢٠٦، ٣٧٨، ٤٦١.

[٤] راجع تفسيرها ص ١١٠، ١٧١، ٣٠٩.

[٥] انظر حوار ابن الهاشمي معها ص ١٨.

"إنها إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف وهي في متناول المخاطبين من العرب... والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً، وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس، إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات، فإذا أخذ الناس هذه الذرات فقصارى ما يصوغونه منها لبنة أو آجرة... ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة نابضة خافقة، تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز، سر الحياة الذي لا يستطيعه بشر، وهكذا القرآن حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاماً وأوزاناً ويجعل منها الله قرآناً وفرقاناً..."[1].

خامساً: الدفاع عن حق المرأة بنبذ التقاليد السيئة والتمسك بحقوقها الشرعية المنصوص عليها كتاباً وسنة ففي تفسيرها لآية العدة للزوجة المدخول بها التي توفي عنها زوجها لا خلاف في عدتها أربعة أشهر وعشراً ولكن ذلك يختلف بالنسبة للحامل فتقول رداً على ما طرأ في هذه المسألة من خلط وبدع بمنع المرأة من حقوقها: "فإذا كانت حاملاً ووضعت ولو بعد وفاة زوجها بليالٍ فقد انتهت عدتها، وعندها يحق لها الزواج، ولهذا فلا يحق لنا أن نعترض على المرأة التي تقضي فترة عدتها، ثم تتزين بعدها وتخلع عنها ملابس الحزن، أو أعلنت عن رغبتها في الزواج، ولهذا فقد قال تعالى:" فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ" البقرة: ٢٣٤.

ثم استشهدت لذلك بحديث لرسول الله ﷺ، ثم حديث سبيعة الأسلمية التي مات عنها زوجها وضعت حملها بعده بليال فأتت الرسول حين أمرها وليها بالعدة أربعة أشهر وعشر فسألته عن ذلك، قالت سبيعة:" فأفتاني بأني حللت حين وضعن حملي،

[1] راجع التفسير، ١٩- ٢٠.

وأمرني بالتزويج إن بدا لي"[١]، وتعلق المفسرة قائلة: "وسبحان الله العليم الخبير، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم أن للمرأة طاقة تحدد لها أمر العدة على قدر احتمالها، وربما تشذ بعض النساء عن هذه القاعدة، إلا أن القواعد لا تبنى على الشواذ، والقاعدة هي ما قرر الله سبحانه، وفي قوله ﷺ: "تزوجي إن بدا لك" حكمة بليغة، فلا حرج على من صبرت عاماً أو أكثر أو العمر كله، إلا أن القاعدة التي يجب الأخذ والتقييد بها، ما قرره الله سبحانه ونبيه ﷺ"[٢]

سادساً: عدم الخوض في تفاصيل القضايا اللغوية والفقهية وتجاوز الخلافات الفقهية والمذهبية حرصاً منها على الوفاء بالمعاني الدعوية الأساسية، وتقتصر على المعنى العام للأحكام ففي تفسيرها لقوله تعالى: "حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ" البقرة: ٢٣٨، ذكرت أن هناك خلافاً أي صلاة؟ فقالت: "ونقول: إن الله تركها كذلك دون تسمية حتى يحافظ المسلمون على الصلوات كلها، وأن بعضها أفضل من بعض، والله أعلم"، وترجح أحياناً كترجيحها القول بالنسخ لآية عدة المرأة أربعة أشهر وعشراً، للآية التي قبلها في المتاع إلى الحول[٣].

سابعاً: الربط بين الآيات القرآنية في السياق الواحد، وربطها بالواقع في الوقت نفسه مثل التهاون في دفع الزكاة التي تجعلهم يتقبلون الربا ومن ثم يستحقون الحرب من الله ورسوله، ففي تفسيرها لـ"وَآتُواْ الزَّكَاةَ " البقرة:٢٧٧، بعد آية محق الربا تقول:" وقد ضاعت بيننا –من بين ما ضاع– فريضة الزكاة حتى إنها لم تعد إلا سلوكا فرديا، يقوم به الصالحون المحسنون من الناس: سراً أو

---

[١] رواه البخاري في كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، ح (٣٧٧٠) ١٤٦٦/٤، ومسلم في كتاب الطلاق ، باب انقضاء عدة المتوفي عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل ح (٦٤٨٤) ١١٢٢/٢

[٢] راجع تفسيرها ص ١٤١-١٤٢.

[٣] المصدر نفسه ص ١٤٥، و١٤٧.

جهراً، وشاعت مرارة المحق والتخبط في ظلمة نظام ربوي ساحق.. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا " البقرة:٢٧٨.

وأما المنهج الدعوي الذي يمثل جوهر تفسيرها ولبه فيبرز خلال النقاط الآتية:

١- التزامها في شرح الآيات بالوضوح والسهولة والابتعاد عن الغموض والغرابة حرصاً على تقريبه للدعاة خاصة والمسلمين عامة لتحقيق الهدف منه، وهذا واضح في التفسير كله.

٢- ربط معاني القرآن الكريم وأحكامه بالواقع الحالي في محاولة صادقة لتقويم هذا الواقع على هدي هذه الأحكام والمعاني لعلاج أمراض المجتمع والأخذ بأيدي المسلمين وإسعادهم عن طريق الالتزام بهذه الأحكام، ففي تفيسرها لآية:" إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ" الرعد:١١، علقت بربطها بالواقع بالقول:" وقد كانت الأمة المسلمة على صدق مع الله في العمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ ، فلما تغيرت مع الله فحكمت بغير كتابه وسنة نبيه واتبعت الكفار واتخذت منهم مستشارين وأعواناً أذلها الله وجعلها تعيش في تبعية ذليلة، تارة للغرب وتارة للشرق وجعلوا أمرها في غير يدها، ولو تابوا ورجعوا إلى الله فأقاموا دينه واعتمدوا على أنفسهم وحكموا في أنفسهم كتاب الله وتمسكوا بسنة النبي ﷺ لعاد لهم عزهم وحفظت كرامتهم المهدرة.."[١].

٣- التركيز الشديد على الجانب العملي في الإسلام والذي يقوم على:

[١] راجع المثال في تفسيرها ص ٦٨٤.

أ - بناء الفرد المسلم على أساس فهم سليم ومعرفة واسعة شاملة بهذا الدين وثقة به عقيدة وشريعة ففي تفسيرها "وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ" البقرة:٣، توضح أهمية الصلاة في تربية النفس فتقول:" فإقامة الصلاة تعني أن ينصرف المصلي بتكبيرة الإحرام عن نفسه ودنياه، ويعيش ما يقرأ من القرآن ويؤدي ركعاته وسجداته بخشوع قلبه وخضوع روحه، إلى أن يرتقي الخشوع إلى مرتبة كأنها الحضور والشهود لله،... والصلاة تقوّم النفس وتقويها، وتجعل لها عزيمة وإرادة ودفعة حياة، وبذلا دائما في سبيل الله، وطهارة البدن ونظافة الأطراف، وتعوّد النظافة الحسية التي ترتقي بك مع الذكر والتسبيح والتهليل إلى طهارة قلبية"، وهكذا في كل الأركان والمعاني تحاول في استثمارها في بناء شخصية المسلم.

ب - بناء البيت المسلم في تكوينه وتقويمه على أساس من عقيدة سليمة وخلق قويم وعواطف صادقة بما يعين أفراده على إشاعة المودة بينهم، ففي تعليقها على قوله تعالى: "وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ" البقرة: ٢٢١، تقول: إنه تحريم صريح من الله سبحانه للزواج من المشركين من عبدة الأوثان، فالمرأة والرجل على السواء، وإن كان الإجماع على إباحة التزويج بالكتابيات، وإني لأعجب للرجل من المسلمين، يأتمن عدوّ دينه وعقيدته على فلذة كبده!!، والمسلم بزواجه من الكتابية (اليهودية أو النصرانية) يعرض ولده لتضارب شديد في الفكر، حين تذهب أمه إلى الكنيسة ويذهب أبوه -إن ذهب- إلى المسجد" وفي آية:" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ.." آل عمران:١٤، فتقول: "وهذه الشهوات تارة تكون فتنة وتارة تكون نعمة على صاحبها"، فتبين المفسرة متى تكون هذه الشهوات -وأولها بالذكر المرأة- نعمة ومتى تكون غير ذلك لأن صلاح المجتمع بصلاحها[1].

[1] راجع المثال الأول في تفسيرها ص ١٣٣-١٣٤، والمثال الثاني ص ١٩٨-١٩٩، حيث توضح المفسرة موضوع فتنة النساء والأموال والبنين وتقديم النساء في الذكر فتقول: "إذ أن المرأة التي

ج- تكوين الأمة في أفرادها وأسرها على الأسس والمعاني السابقة، كالمثال في الفقرة السابقة وأهمية المرأة الصالحة في بناء نفسها والأسرة أولا وفي بناء المجتمع لأنه مجموع الأسر، وفي تعليقها على الآية ما قبل الأخيرة من سورة البقرة تقول:" ولكن ليس معنى الإيمان بما أنزل من قبلنا أن نعمل بشرائع الأمم التي قبلنا دائما، بل نعمل بالقرآن والسنة المبينة له، ..وأننا مطالبون بأن يكون للقرآن الهيمنة الكاملة على كل الرسالات"، وفي الآية ٢١٤ من البقرة تبين تربية الأمة - شأنها شأن بقية الأمم- بالتمحيص والابتلاء الذي يميز الناس [١]، وتؤكد على مقومات استمرار الأمة العزيزة بدينها بالدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- الدعوة القوية إلى إحياء فرائض الإسلام الغائبة كالحكم بما أنزل الله، ففي تفسيرها لقوله تعالى: ".. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَـافِرُونَ" المائدة: ٤٤، تقول: ...وهنا لنا وقفة مع أمتنا أمة الإسلام: إذا كان الله قد حكم على بني إسرائيل بالكفر عندما هجروا حكمه الذي أنزله في كتابه، فماذا مع أمة الإسلام عندما لا تحكم بالقرآن؟! والله سبحانه يقول: "فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" وبعدها بقليل يقول: "فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" وبعدها بقليل " الْفَاسِقُونَ"، وإن كانت الآيات نزلت سياقاً في أهل الكتاب فهل نحن لا نسأل عندما لا نحكم بغير ما أنزل الله؟! إن العقل السليم يقرر أن الحق الواجب اعتقاده هو ما كان عليه الرسول ﷺ وخلفاؤه، لأن أهل الإسلام أشد إدانة عندما يهجرون كتاب الله ويحكمون بحكم الطاغوت.." ثم تذكر قول المفسرين بأنها نزلت في أهل الكتاب وهي واجبة علينا، ورضي الله لهذه

بعدت عن الإسلام هي الفتنة الكبرى على الأمة في كل أمورها... وإذا صلحت المرأة فلا يكون الأولاد فتنة، ولن يكون المال فتنة، ..إن صلاح المرأة صلاح للمجتمع كله، فليعتبر أصحاب العقول الراشدة هذه القضية وليعلموا من أين يأتي البناء ومن أين يأتي الهدم.

[١] راجع المثال الأول ص ١٩٩، والثاني ١٨٦والثالث ص ١٢٨-١٢٩.

الأمة بها، وهي بذلك تمزج بين المنهج النقلي والعقلي في معالجتها للنصوص واستنباطها للحكم والدروس.

ومثلها فريضة الجهاد ففي تفسيرها لقوله تعالى: "وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ" البقرة:١٩٠، تقول: "أن الله سبحانه وتعالى يبين أن ما يقع فيه المسلمون من عدوان على حقوقهم في الحياة واغتصاب لديارهم وأموالهم والكثير من الأذى الذي يحيق بهم لا يحسمه إلا الجهاد في سبيل الله، ومقاومة كل من أراد الإسلام والمسلمين بسوء، بل إن الذي وقع فيه المسلمون اليوم من فتنة في الدين وتخبط في الأمر، إنما هو بسبب تركهم لهذه الفريضة، التي يستقيم بها كل اعوجاج، فقد صدق الله إذ قال: "وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ"[١].

٥- تقوية المعاني الروحية بالدعاء الصادق عقب آيات الوعد والاستعاذة عقب آيات الوعيد والأمثلة على ذلك في كل هذه الأنواع من الآيات ففي ختام سورة البقرة كان لها تضرع قالت فيه: "فالولاء لك وحدك ربنا.. والعداء للقوم الكافرين أعداء الإسلام.. فاجعلنا اللهم دائما في مقام العزة والنصر والتمكين والكرامة..." وفي ختام سورة آل عمران ختمتها بدعاء لطيف قالت فيه: "تدعوا الله في ختام هذه السورة أن يكتبنا من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله مرابطين من أجل إعلاء كلمة الله... اللهم اجعلنا من المجاهدين فيك الداعين إليك المرابطين الصابرين على السرّاء والضرّاء حتى تقوم الدولة والأمة على شريعة الله وأمره.."[٢] والأمثلة كثيرة في كل آيات الوعد والوعيد.

---

[١] انظر المثال الأول ٣٧٩- ٣٨٠، والثاني ص ١١٤-١١٠. والآية من البقرة:١٩١.
[٢] تفسيرها ص ١٨٨، و٢٨٠.

ومن الأمثلة الجامعة على منهج المفسرة تفسيرها للمثل الذي ضربه الله للمنفقين في سبيل الله في قوله تعالى: "مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" البقرة:٢٦١، تقول المفسرة: "ابتداء من هذه الآية الكريمة وإلى قرب انتهاء السورة العظيمة يشرع الحق سبحانه وتعالى في بيان علاقة الإنسان المسلم بالمال، وأسلوبه في المعاملات المادية. فيبدأ بالحديث عن الإنفاق في سبيل الله، ثم بالتحذير من الربا، ثم بالعلاقة المشروعة بين الدائن والمدين، وآداب الدين وكيفية التعاقد، وما يتعلق بذلك من أمور الشهادة والكتابة والإئتمان في التجارة والسفر والرهان".

ثم تشرع بتفسير الآية بعد هذا الربط الذي تظهر فيه حسن التناسب بين الآيات مازجة بين النقل والعقل فتقول: "ولما كان المال هو قوام الحياة للإنسان ومن أكبر زينتها!!، ولما كان الإنسان متعلقاً به جذرياً، وقد جبل على ذلك كما قالت الآية: "وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" العاديات:٨،...ثم بدأ يربي هذا المخلوق ويقيم علاقته بالمال: على التوازن والسخاء...[1].

❁❁❁

[1] انظر تفصيل تفسيرها للآية في تفسيرها "نظرات في كتاب الله" ص ١٦٣-١٦٥، بما يوضح منهجها الذي اتبعته في إيقاظ العقل والوجدان بأسلوب أدبي بديع. وانظر أمثلة أخرى في سورة يوسف ص ٦٦٠-٦٦٥، وخاتمة سورة إبراهيم ص٧١١.

المبحث الثالث
جهود الباحثة حنان لحام

لا نعرف الكثير عن شخصية المفسرة لعدم وجود المصادر المترجمة لحياتها، وكل ما أعرفه عنها أنها امرأة فاضلة من أهل الشام، ولها أسرة ورزقت بالأولاد والأحفاد، اشتغلت بالتدريس فهي مربية أجيال وباحثة.

وقد حاولت الاتصال بها عن طريق البريد الإلكتروني لمعرفة طرف من سيرتها العلمية ولكن لم أتلق رداً، والسبيل الوحيد في معرفة سيرتها هو ما توافر لدي من مؤلفاتها، واستطعت أن استشف منها طرفاً من شخصيتها مما أشارت إليه في مقدمة كتبها، والمهم منهجها في تفسيرها لبعض السور القرآنية.

واستخلصت من حواراتها التي تجريها مع المفكر جودت سعيد بقلم الباحثة حنان لحام أنها من النساء القلائل في عالمنا العربي والإسلامي ممن يحبون العلم وينتفعن به، ومن ثم ينفعن به الآخرين، كما أنها من المهتمات بالواقع المعاصر لأحوال الأمة والساعيات إلى البحث عن المخرج الآمن لما أصابها.

وحاولت استخلاص منهجها في التفسير من خلال استقراء ما استطعت الحصول عليه من تفسيرها، ومن قراءة صفحات لها يدرك القاريء أنها أديبة وذات قلم سيّال، محبة للعلم ومجالسه، وقارئة ممتازة تعي ما تقرأ وتسمع وتستفيد وتفيد، عاشت سنوات في مكة المكرمة.

ومن ملامح شخصيتها: الصبر والمثابرة، حيث قابلت باستهجان بعض من نصحها بترك الكتابة في مجال التفسير والاكتفاء بالقصص، كما ذكرت في مقدمة تفسيرها لسورة آل عمران.

قصتها مع التفسير

ذكرت المؤلفة ذلك في مقدمة (من هدي سورة آل عمران) فقالت: "لقد بدأ الأمر منذ أكثر من عشرين عاماً... عندما بدأت ألتقي مع بعض الأخوات الطيبات في دمشق أسبوعياً لنتدارس القرآن، وكانت الأخت ليلى سعيد -جزاها الله خيراً - هي التي تقدم التفسير، وكنت أهتم بالتقاط الأفكار التي تعرضها وأكتبها في مذكرات أرجع إليها بين فترة وأخرى، وذلك أنني كنت أجد فيها أفكاراً جديدة لم يسبق لها أن طرحت في التفاسير، وقد ذكرت لنا الأخت ليلى أن ما كانت تقدمه لنا من أفكار إنما هو حصيلة سنوات لجلسة يومية عائلية في التفسير كان يقدمها لهم أخوها الأستاذ جودت سعيد.

ومرت السنوات ونحن في دأب على هذه الجلسة، لم يثننا عنها استخفاف الناس بضآلة هذا العمل، ولا قول آخرين: إن الظروف غير مناسبة، واستمر دأبي على تسجيل الأفكار، وأشعر الآن أن الكتابة والمواظبة في الحضور كان لهما فضل كبير في نمو هذه الأفكار عندي، إلى أن أتى يوم اضطرت فيه الأخت ليلى للسفر التحاقاً بزوجها الذي كان يتابع دراسته في ألمانيا فكلفتني أن أنوب عنها في تقديم التفسير، فعدت إلى دفاتري وإلى التفاسير الثلاثة: تفسير القرآن العظيم، وفي ظلال القرآن وتفسير المنار، ألتقط أهم ما فيها، وأضيف إليه ما اطلعت عليه من أفكار في كتب أخرى... وهكذا كنت أحضر الدروس وأكتبها في دفاتر جديدة، ولم يكن يخطر في بالي عندها أنها ستكون نواة لخروج كتب التفسير.

ومرت السنوات وقد أصبحت الجلسة الأسبوعية جلسات، ثم انتقلت إلى مكة المكرمة وتركت أخواتي في دمشق وهن حريصات على المتابعة في دراسة القرآن،

وفي مكة عدت إلى التحضير من جديد حيث قدمت تفسير السور الثلاث: البقرة، وآل عمران والنساء في مدرسة القرآن ... وكانت سورة النساء قد سبقت ، إذ تم تدارسها قبل ذلك مع نخبة من الطالبات الجامعيات لما فيها من أحكام تخص المرأة [١].

مصادرها في التفسير

هناك مصدران مباشران أشارت إليهما في المقدمة وهما:

- الأستاذ جودت سعيد العالم المعروف، وأخته ليلى التي أشرنا إليها آنفاً والتي كانت تحضر دروسها في التفسير وتسجل الأفكار تقول حنان لحام في ذلك: "كنت أتلقى تشجيعا ودعماً كبيرين من أستاذي الكريم جودت سعيد، وأنا أقر له بالفضل ، فلئن استطعت أن أقدم بعض الأفكار الحيوية الهامة، فإنما هي من تأثيره وتعليمه...[٢].

- تفاسير متقدمة وأخرى حديثة أشارت إليها في المقدمة وهي : تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، والمنار للسيد رشيد رضا رحمهم الله جميعاً.

- كتب أخرى وهي كثيرة الاستشهاد والإعجاب بأفكار مالك بن نبي، وأبي الأعلى المودودي، ومحمد إقبال وغيرهم في تفاسيرها، وقد حاولت الاستفادة من هؤلاء الأعلام المجددين.

---

[١] انظر مقدمة تفسيرها لسورة آل عمران ص ٥-٦.
[٢] المصدر السابق ص ٦-٧.

أعمالها ومؤلفاتها

يبدو أن الأخت الباحثة حنان لحام ناشطة في مجال الدعوة ولها نشاطات تربوية واجتماعية من خلال ما قرأت عنها من المقالات واللقاءات على شبكات الأنترنيت، تحت مسمى باحثة سورية.

أما مؤلفاتها فهي تنتقل بين التفسير الذي حمل عنوانا مشتركاً (سلسلة نظرات في كتاب الله) لسور من الطوال والمفصل وبين القصة الهادفة وهي:

ففي التفسير: أضواء على سورة يس، أضواء وتأملات من سورة طه، أضواء من سورة لقمان، من هدي سورة البقرة، من هدي سورة آل عمران، من هدي سورة النساء، من هدي سورة النور، وأخيراً تفسير سورة التوبة[1].

وفي القصة: مجموعة قصص للراشدين بعنوان "ميلاد جديد"، قصة "وأدرك شهرزاد الصباح"، ومجموعة قصصية "وحكايات لأحفادي" لـ ٨ سنوات فما فوق، ومجموعة قصص هادفة من القرآن (ليلة القدر، سورة الإخلاص، سورة الكوثر، قصة الفيل، العاديات، ذي القرنين)، وسلسلة من القصص عن السنة النبوية وبعض الصحابيات: سمية الشهيدة الأولى، وأم سليم الزوجة المؤمنة، وأم حكيم العروس الشهيدة. وقصص للناشئين بعنوان "الشمس والريح".

وفي السيرة النبوية: كتاب "هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي[1]" حاولت فيه استنباط المواقف السننية من السيرة النبوية، والتي لم تأخذ حقها من التأمل والبحث حسب رأي الكاتبة.

ملامح تفسيرها ومنهجه

أولاً : اعتمادها على المأثور من القرآن والسنة في توضيح معاني الآيات وربطها بما له علاقة به، وكذلك إيراد الأحاديث النبوية الشريفة مما يتصل بمعاني تلك الآيات، فمن ذلك ما أشارت إليه في تفسير قوله تعالى:" أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ " البقرة: ١٠٨، فقالت: قد يكون النهي عن سؤال المعجزات كما قال اليهود "لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً" البقرة:٥٥، وقد يكون النهي كما ورد في آية "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ" المائدة: ١٠١. وقد ورد في الحديث: "ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، ولإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه"[٢].

ثانياً : تأثرها في التفسير بالمنهج الأدبي الإشراقي: خاصة وأن المؤلفة ذات تكوين أدبي، فقد أصدرت سلسلة من القصص للصغار والناشئين والراشدين، وبروز الظاهرة الأدبية في تفسيرها يجعلها تتجاوز أحياناً بيان معنى الكلمات أو المفردات إلى التعليق عليها والإشارة إلى ما يحيط بها، وهي في ذلك تصدر عن روح أدبية تقصد منها التأثير في القارئ ليعيش مع أجواء القرآن في ظلال الإيمان، والأمثلة على ذلك كثيرة وخاصة في مقدمات السور، مثال ذلك ما بدأت به سورة طه فقالت: "ليس هذا تفسيراً أكتبه لكنها نبضات قلب أشرقت عليه سورة طه، ونفحته بعض عبيرها، إيه يا أمير المؤمنين يا ابن الخطاب: أتذكر ما فعلته بك "طه. مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى" طه:١- ٢، وعمر الفاروق جبار الجاهلية

---

[١] حنان اللحام، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، المقدمة ص ١٥، ط دمشق: دار الفكر ٢٠٠١م.

[٢] رواه مسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، ح (١٣٣٧) ٩٧٥/٢، وكتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، ٢/ ١٨٣١.

يسمعها فتنكسر أغلال قلبه.. وتتهاوى السدود والجدران أمام شلال النور المتدفق مع "طه" إلى أغوار نفسه.. فتنجاب الظلمات.. ويتهاوى الظلم والجبروت.. وتنكشف حقيقة الله المحب لعباده.. الخالق لكل شيء.. أمام ناظريه فيركع القلب ويسجد تائباً منيباً.. وتزغرد الآفاق لميلاد هذا العبقري..

ثالثاً: بروز اتجاه التفسير الموضوعي في تناولها وتقسيمها لموضوعات السورة الواحدة، فمادة تفسيرها ليست مقسمة بحسب تتابع الآيات، ولكن تجمع الآيات في الباب الواحد لتنتظم تحت عنوان واحد، ففي سورة آل عمران مثلاً جعلت التفسير في فصول ستة: في الكتاب، وفي الذين نزل عليهم الكتاب، وتوجيهات للمؤمنين، وغزوة أحد، ومن مواقف اليهود، وأولوا الألباب يتفكرون. وهكذا في بقية السور.

رابعاً: معالجة قضايا اجتماعية كما في تفسيرها لقوله تعالى "لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ" آل عمران:١٨٨، حيث تنقل رأي صاحب المنار والظلال في أضرار المدح مع أدلة من الرسول ﷺ للحذر من الرغبة في أن تمدح على أعمالك حتى تكون الأعمال خالصة لله، ولقد نهى رسول الله ﷺ عن المدح لما له من أثر ضار على الإنسان من غرور وغفلة، فبعض الناس يضره المدح وبعضهم يشجعه الثناء، ورسول الله كان يثني على بعض أصحابه لدفعهم إلى الخير... ولذا فالأمر دقيق ويحتاج إلى نضج وحكمة بحيث يوضع المدح في مكانه والنقد في مكانه[1]، كما أنها تناولت قضايا مهمة في حياة المرأة، فبرزت عناصرها في تفسيرها بصورة واضحة، في محاولة منها لحل تلك القضايا في ضوء تعاليم القرآن، كالمواريث والعدة والحجاب وخصوصاً في تناولها لسورتي النساء والنور.

[1] انظر تفسيرها، من هدي سورة آل عمران ص٢٣٩.

خامساً: تجاوز القضايا الخلافية وعدم الوقوف عندها: لأنها لا تؤثر في الإيمان، وتعدها مضيعة للوقت كما في تفسيرها لقوله تعالى: "إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ.." آل عمران:٥٥، فبعد أن ذكرت وجوه المعاني التي نقلتها عن المفسرين في معنى متوفيك ورافعك، وهل كانت بالموت أو النوم، والرفع هل كان بالروح أم بالروح والجسد وذلك كله من الأمور الغيبية، قالت: "فإن هذا لن يؤثر في إيماننا بالله القادر على كل شيء... فالذين يقفون عند الآية ويجادلون في الرفع والوفاة والكيفية ليست لديهم الأدلة الصريحة، فهم يضيعون الوقت والجهد دون طائل والأولى تجاوز هذه الوقفات"[١].

سادساً: ربط التفسير بأحوال العالم المعاصر مثل تفسيرها "فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ.." آل عمران:٥٦، بربط الأمر بسنن الله في الحياة الدنيا فمن يسخرها ويستخدمها يحصل على النتيجة ولو كان كافراً، والله يعطي الملك لأصلح المتعاصرين، ولا يشترط أن يكون العذاب في نزع السلطان منهم.. وظهور مرض الإيدز كطاعون جديد يعتبر أحد صور هذا العذاب الشديد الذي ينزل بالمتنكرين لأحكام الله.[٢]

واستأنست برأي رشيد رضا صاحب المنار في قضية المباهلة حين وقف عند كلمة "وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ" آل عمران:٦١واستنتج منها أهمية مكانة المرأة في المجتمع..[٣]، وتابعت رشيد رضا للشروط التسعة التي يجب أن تتوافر في الداعي عند تفسيرها لقوله تعالى: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ .." آل عمران:١٠٤. ويلاحظ تأثرها بمنهجية بعض الأعلام مثل

---

[١] راجع تفسيرها، من هدي سورة آل عمران، ص٧٣-٧٤.
[٢] راجع المصدر نفسه ص ٧٥-٧٦.
[٣] المصدر نفسه ص ٧٩.

جودة سعيد في مؤلفاته وخاصة كتاب "اقرأ" و"حتى يغيروا ما بأنفسهم" كما ذكرنا آنفاً.

سابعاً: محاولة المفسرة ودعوتها إلى التجديد في الفهم والاستفادة من التقدم العلمي، كما حثت في مقدمة تفسيرها لسورة البقرة لتعميق الفهم لآيات الأنفس والآفاق فتقول: "إنني أتطلع إلى تجديد في الفهم والتفكير يتناسب مع الفتح الذي حصل في آيات الآفاق والأنفس، وليس هذا يسيراً علينا نحن الذين لبثنا قرونا في دائرة مغلقة غائبين عما يجري حولنا من نمو وتقدم، نخاف من كل جديد ونرفضه وخاصة في علم التفسير، لأنها تفرق بين التجديد والتفسير بالرأي الذي هو اتباع للهوى، واستشهدت بقول ابن تيمية : "إن صريح المعقول لا يخالف صحيح المنقول" وبرأي محمد إقبال رحمهما الله[1].

أما خطوات تفسيرها فهي :

١- ذكر نوع السورة وعدد آياتها وما ورد في فضلها من الأحاديث كما تذكر الحدود التاريخية لنزول السورة بالاعتماد على أسباب النزول، ففي سورة آل عمران قالت: "نزلت هذه السورة بعد غزوة بدر - فقد أشارت الآية ١٣من السورة إلى غزوة بدر - واستمرت آياتها تنزل إلى ما بعد غزوة أحد، وورد ذكر الغزوة فيها مع التعليق والتوجيه"، مع ذكر الأصناف الستة حين نزولها [2].

٢- تقديم خلاصة قصيرة عامة للمناسبة بين السورة والتي قبلها، وما بينهما من التوافق والاختلاف حيث قالت عن سورة آل عمران: "وسنلمس اختلافاً بين هذه السورة وسورة البقرة، فلئن جاء في سورة البقرة حديث طويل عن اليهود، فإن آل

[1] راجع المفسرة، من هدي سورة البقرة، ص ٥- ٦.
[2] انظر للمفسرة ، من هدي سورة آل عمران ص ٩-١٠.

عمران تحدثت عن النصارى أكثر. وقد اشتملت السورة على موضوعات كثيرة في أحكام وتنظيمات اجتماعية واقتصادية بينما تركز آل عمران على هدفين رئيسين: عرض العقيدة الصحيحة ومناقشة أهل الكتاب ونقدهم، ونقد أخطاء المؤمنين لفهم سنة الحياة والأخذ بأسبابها.

٣ - تقسم السورة إلى مجموعات ذات وحدة أو وحدات موضوعية متكاملة تعطي لكل مجموعة عنوانا خاصاً كما في سورة آل عمران مثلا فقد قسمتها إلى ثماني وحدات موضوعية، ولكل وحدة عنوان يمثل الفكرة التي تدور حولها الآيات.

٤- تفسر القرآن بالقرآن: ومن الأمثلة في تفسيرها لقوله تعالى: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ" آل عمران: ١٩، تقول:" والقرآن يقرر أن جميع الأديان وكل الأنبياء الذين اصطفاهم الله كانوا على الإسلام، فهو يقول على لسان إبراهيم وإسماعيل: "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ.."البقرة:١٢٨، ثم تذكر ما جاء على لسان نوح في يونس:٧٢، ولسان يوسف في سورة يونس:١٠١، ويعقوب في البقرة:١٣٣، وهكذا على لسان الأنبياء في آيات متفرقة من القرآن الكريم.

٥- التنبيه على بعض الممارسات لدى بعض الطوائف كتعلق بعضهم بقوله تعالى: "إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً " آل عمران:٢٨، والتي يجب أن تفهم في سياقها وهو صدر الآية "لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ" وهي القاعدة في التعامل مع الكفار، لأن الولاية التي هي علاقة حب ومناصرة لا تكون إلا بين المؤمنين، ولكن يستثنى من هذا الحكم العام رخصة للمؤمنين ويحيطها بالتحذير "إلا أن تتقوا منهم تقاة" أي: إظهار شيء من الموالاة باللسان وقاية للنفس من شرهم كما حصل لعمار بن ياسر،.. أي مسايرة باللسان في ظروف خاصة لا أن تصبح هي القاعدة التي تتبناها الأمة..

٦- رد ما تراه غير صواب من التفسير، ففي تفسيرها "وليس الذكر كالأنثى" ردت على من رأى الآية في تفضيل الذكر على الأنثى، ولها آراء في النقد بأنه لا حصانة لأحد من النقد لأنه منهج القرآن الذي طالما انتقد أعمال المسلمين، وترى بضرورة الفصل بين الإسلام كدين وبين المسلمين[١].

وقد يؤخذ على تفسيرها عدم توثيقها للنصوص أحياناً، ولاسيما الأحاديث النبوية وأسباب النزول، ولم تحدد مواضع أكثرها في المصادر التي أخذت منها[٢].

كما أنها تطلق مصطلح القاعدة على الحديث النبوي، دون الإشارة إلى أنه حديث، ففي تفسيرها لسورة النور تقول: "وحتى لا ننسى القاعدة الإسلامية الكبرى "يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفروا" وهذا نص حديث نبوي متفق عليه[٣].

ويلاحظ عليها كذلك الجرأة في نقد المفسرين وغيرهم، وإبداء آراء اجتهادية في أمور قد يعدها البعض تجاوزاً، وخصوصاً فيما يخص مكانة المرأة وتجاهلها على مر العصور ، ومن ذلك قضية شهادة المرأة في قوله تعالى ذكرت سبب النص على رجل وامرأتان ، واستشهدت بقول صاحب المنار من أن الضلال والنسيان قد ينشأ من قلة الخبرة، وذكرت شروط الشهادة : الحضور للحادثة ، والصدق والأمانة، والعلم والوعي، فقالت : « فإذا توافرت هذه الشروط في المرأة بقدر متساوٍ مع الرجل فإن شهادتها مثل شهادته، وذلك أن الفقهاء قبلوا شهادتها وحدها في الأمور التي كانت من اختصاص المرأة في الماضي (وأصبح الرجل الآن يشاركها بالتوليد وما شابه) فكأن الآية تتحدث عن ظرف اجتماعي لم تكن المرأة فيه تحضر الخصومات المالية ولا علم لها بأساليب العقود والمعاملات القضائية ..

---

[١] راجع تفسيرها لآل عمران ص ٦٤، و ١٨٢.

[٢] وقد تجلى ذلك بوضوح في تفسيرها الأخير لسورة التوبة ، انظر على سبيل المثال ص ٢١٨ في النهي عن الاستغفار للمشركين وما بعدها.

[٣] من هدي سورة النور ص ٧٦.

فالحكم مرتبط بظروفه ، والشهادة تقبل عند توفر شروطها في الشاهد سواء كان رجلاً أو امرأة»[١].

وهذه الملاحظات لا تقلل من شأن تفسير الباحثة حنان القيّم، ومن الطبيعي أن الخطأ لا يسلم منه جهد بشري.

والحمد لله رب العالمين

[١] للمفسرة : تأملات في منزلة المرأة في القرآن الكريم، ص ٨٨ – ٩٠ ، وقد أشارت المفسرة إلى تفسيرها للآية في سورة البقرة.

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- شاركت المرأة قديما في التفسير، وكان اهتمامها بذلك نابعاً من اهتمامها بالإسلام، وشعورها بالمسؤولية في نشر تعاليمه القائمة على فهم كتاب الله، وما لها من دور في إصلاح المجتمع، وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها رائدة النساء في ذلك.

٢- غلب على تفسير النساء قديماً الاهتمام بما يتعلق بالأحكام مع اقترانها بالرواية التي تفيد الحكم.

٣- جاءت جهود النساء متواضعة في التأليف والتصنيف عموماً، والتفسير خصوصاً، فلم يعرف عن امرأة فسرّت القرآن كاملاً لا في القديم ولا في الحديث، إلا ما ذكرته المصادر عن "زيب التفاسير" لزيب النساء، ولم يصل إلينا.

٤- يعود سبب قلة النساء في التأليف عموماً لأسباب: منها انشغالها بالمسؤولية الأولى وهي تربية الأجيال، فربما اكتفت - بعد أخذ العلم- بالتعليم وأداء الرواية وغيرها أداءً شفوياً حيث كان منهن شيخات لفطاحل العلماء.

٥- لم تجمع جهود النساء في كتب مستقلة إلا القليل الذي أشرت إليه في ثنايا البحث.

٦- ظهر عدد من أعلام النساء المفسرات حديثاً ولهن جهود واضحة في التأليف مثل (بنت الشاطئ، وزينب الغزالي، وحنان لحام) علماً بأنهن لم يفسرن القرآن كاملاً، بل أجزاء انتقائية غلب عليها التفسير الموضوعي، كما غلب على المفسرات الاتجاه الأدبي، أو الدعوي أو الأثنين معاً.

٧- ما ذكرته من أمثلة لا يمثل كل جهود النساء في العصر الحاضر، بل يمثل أنموذجاً وليس حصراً لعدم توافر المعلومات الوافية.

وأخيراً نأمل في عصرنا هذا الذي يتيح للمرأة طلب العلم، وزوال بعض القيود الاجتماعية - في الإفصاح عن شخصيتها ودورها- أن نرى مفسرات لكتاب الله ، ففي ذلك من الخير ما يعم المجتمع والمرأة على وجه الخصوص.

المصادر والمراجع

١ - ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (٥٠٨هـ) . ١٩٩٢م. صفة الصفوة، فهرسة عبد السلام محمد هارون، ط٢ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

٢ - أم إسراء بنت عرفة بيومي. ٢٠٠٢م. نساء لها تاريخ. بيروت: دار المعرفة.

٣- ابن الأبار، أبو عبد الله البلنسي (ت٦٥٨هـ). ٢٠٠٤م. أعلام نساء الأندلس. تحقيق: منجد مصطفى بهجت مصر، المنصورة: دار الوفاء.

٤ - ابن حنبل أحمد أبو عبد الله الشيباني. د.ت. مسند الإمام أحمد. مصر: مؤسسة قرطبة.

٥- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني . ١٩٨٦م . سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط٢ السعودية: شركة الطباعة العربية السعودية.

٦ - آمال قرداش بنت الحسين . ١٩٩٩م. دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

٧ - البخاري محمد بن اسماعيل، (د.ت)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث.

٨ - البغدادي إسماعيل باشا . ١٩٥١م. هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بغداد: مكتبة المثنى على طبعة استانبول.

٩ - بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. د.ت. التفسير البياني للقرآن الكريم. ط٧ج١، ط٥ج٢ القاهرة: دار المعارف.

١٠ -بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن.١٩٧١م. الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق. القاهرة: دار المعارف.

١١ -الجبيلي، زينب الغزالي. ١٩٩٤م. نظرات في كتاب الله. القاهرة: دار الشروق.

١٢- حنان لحام . ١٩٨٩م . من هدي سورة البقرة، الرياض:دار الهدى للنشر والتوزيع.

١٣- حنان لحام . ١٩٨٩م. من هدي سورة آل عمران. الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع.

١٤- حنان لحام. ١٩٩٤م. أضواء وتأملات في سورة طه. بريطانيا: دار إيلاف، ودار البشائر الإسلامية.

١٥ – حنان لحام ١٩٩٦ ، تأملات في منزلة المرأة في القرآن الكريم ، دمشق : دار الآفاق والأنفس.

١٦- الخالدي صلاح عبد الفتاح. ١٩٩٢م. البيان في إعجاز القرآن. ط٣ الأردن /عمان: دار عمار.

١٧- الدخيل سعيد فايز . ١٩٩٣م . موسوعة عائشة أم المؤمنين – حياتها وفقهها، الأردن: دار النفائس.

١٨- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) . ١٩٨٤م. سير أعلام النبلاء، ط٢ بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٩- الرافعي مصطفى صادق. ١٩٩٧م. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. المنصورة: مكتبة الإيمان.

٢٠- الزركشي بدر الدين بن الحسين . ١٩٨٥م. الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ط٤ بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي.

٢١- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. (د.ت). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: بيروت

٢٢- السوسوة عبد المجيد . ٢٠٠٣م. الكلية العليا للقرآن الكريم في اليمن، بحث منشور في كتاب الوقائع لمؤتمر القرآن الكريم والجهود المبذولة في خدمته من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم، ط جامعة الشارقة.

٢٣- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن . ١٩٨٥م. الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط٣ القاهرة: دار التراث.

٢٤- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير .١٩٩٥م. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر.

٢٥- عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت.

٢٦- عبد القادر محمد صالح. ٢٠٠٣م. التفسير والمفسرون في العصر الحديث. بيروت: دار المعرفة.
٢٧- عبد الله أبو السعود بدر. ١٩٩٦م. تفسير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. القاهرة: دار عالم الكتب.
٢٨- فضل حسن عباس. ٢٠٠٥م. التفسير أساسياته واتجاهاته. عمّان: مكتبة دنديس.
٢٩- فضل حسن عباس. ٢٠٠٧م. المفسرون مدارسهم ومناهجهم. عمّان: دار النفائس.
٣٠- كحالة عمر رضا، (د.ت). أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٣١- لجنة برنامج تحفيظ القرآن. ١٩٩٩م. جهود المملكة العربية السعودية في الاعتناء بالقرآن الكريم. جدة/السعودية: ط هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.
٣٢- محمد خير رمضان يوسف. ٢٠٠٠م. النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي. بيروت: دار ابن حزم.
٣٣- المالكي حسن جبر . ٢٠٠١م. بنت الشاطئ من قريب، القاهرة: دار الكتاب الحديث.
٣٤- فهمي الإمام . ٢٠٠٦م. قراءة في كتاب بنت الشاطئ من قريب، مقال في مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٤٩٣، بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٣م.
٣٥- مجموعة مؤلفين . ١٨٦م. الموسوعة الفلسفية العربية، مطبوعات معهد الإنماء العربي، بيروت: منشورات عويدات.
٣٦- محمود شلتوت . ١٩٧٤م. تفسير القرآن الكريم. ط٦ القاهرة: دار الشروق.
٣٧- مسلم بن الحجاج . ١٩٨٠م. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، السعودية: رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد.
٣٨- هبة رؤوف عزت، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، مقال في موقع إسلام أون لاين.
٣٩- الهيثمي نور الدين . ١٩٨٢م. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط٣ بيروت: دار الكتاب العربي.